سلسلة الحج والعمرة



الشيخ مرتضى علي الباشا

3

مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر


بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين



أسرار الحج
في كلمات العلماء



أسرار الحج

في كلمات العلماء

تاليف:

الشيخ مرتضى علي الباشا



دار الهدى للطباعة والنشر

اسم الكتاب	.... أسرار الحج في كلمات العلماء
تاليف	.... الشيخ مرتضى علي الباشا
الناشر	.... دار الهدى للطباعة والنشر
الطبعة الأولى	.... ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م
مركز التوزيع	.... مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر

شابك: ٣- ٠٦٨- ٤٩٧- ٩٦٤

الإهداء

إلى من كان أمة قانتاً لله حنيفاً، ولم يك من المشركين

إلى من ابتلاه ربّه بكلمات فأتمهن فجعله للناس إماماً

إلى من رفع مع ابنه القواعد من البيت

إلى من أمره الله تعالى بأن يؤذّن في الناس بالحج

إلى خليل الله إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام ـ

أهدي هذا الجهد القليل


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم.

وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على خير الخلائق أجمعين، محمد وآله الطاهرين.

واللعن الدائم المؤبد على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أشهرٌ معلومات، بل أيام معدودات يقضيها العبد المسكين الفقير في بيت الله والمشاعر الحرام، ولكنها ليست كباقي الأيام، إذ لهذه الأيام واللحظات القوة الكافية لإصلاح الفرد، بل لتصحيح مسيرة ومستقبل الأمة جمعاء.

الحج وما أدراك ما الحج ؟!. جعله الله تعالى تشييداً للدين، ونسبه لنفسه، إذ قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾[1].

كل مسلم يصلّي في اليوم والليلة خمس فرائض، ولكن القليل من يتساءل عن أسرار الصلاة ويبحث عنها. أما الحج فبالرغم من كونه واجباً مرة واحدة في العمر عند الاستطاعة، إلا أن جاذبية مناسكه وأعماله تدعو الكثيرين إلى السؤال والبحث عن أسراره ومعانيه. وقد أولى علماؤنا اهتماماً واضحاً في إبراز أسرار الحج، ولكن حيث يصعب

١ـ آل عمران: ٩٧.

على الحاج أن يصل إلى ذلك في مظانه، رأيت أن أجمع هذه الجنة من كلمات العلماء تسهيلاً للحاج والمعتمر، والتماساً للأجر والثواب.

وحيث لا يسعنا استقصاء كلمات جميع العلماء، لا سيما مع مراعاة عدم التكرار، وطلباً للاختصار المفيد، فقد اقتصرنا في هذا الكتاب على نقل أقوال خمسة من العلماء الأعلام:

١- الإمام الخميني (عليه الرحمة).

٢- السيد الخامنئي (حفظه الله تعالى).

٣- الشيخ محمد مهدي النراقي(عليه الرحمة).

٤- الميرزا جواد آقا ملكي التبريزي (عليه الرحمة).

٥- الفيض الكاشاني (عليه الرحمة).

وقبل أن نبدأ في الإبحار في هذه الجنات والأنهار، أرى من الضروري التعريف موجزاً بالعلماء المذكورين، ومصادر البحث:

تعريف مختصر بالإمام الخميني (رحمه الله تعالى):

العلماء نجوم يهتدي بها الناس في ظلام الليل، أما الخميني فهو شمس تبدد الليل وظلامه. ونحن في مقام التعريف بالإمام الخميني (عليه الرحمة) لا يمكننا إلا الاعتراف بالعجز والقصور:

بين كفيه سبحة تتهاوى ... شامخات الجبال حين تدار

هي سر من الإله خفي ... لا تَقُل: كيف تودع الأسرار

ينصر الله كل من ينصر الله بعز إن عزت الأنصار[1]

ولكن لا ينبغي أن يخلو كتابنا من نبذة يسيرة عن حياته المباركة:

هو السيد روح الله ابن السيد مصطفى الموسوي الخميني، ولد في مدينة خُمَين، في العشرين من شهر جمادى الآخرة[2]، سنة ١٣٢٠هـ.

استشهد والده وكان عمره حينذاك خمسة أشهر، وبعد وفاة والده تكفَّلته أمه وعمَّته.

التدريس:

يقول الإمام الخميني (قدس سره) عن نفسه: «كنت قبل مجيء المرحوم البروجردي إلى قم أُدرّس المعقول والعرفان والسطوح العالية في الأصول والفقه. ولكن من بعد مجيئه استجبت لطلب بعض الإخوة ومنهم المرحوم المطهري، وأخذت أدرّس الفقه لمرحلة البحث الخارج وتركت دراسة العلوم العقلية. وبقيت على هذا الحال طوال مدّة إقامتي في قم وفي النجف. وبعد هجرتي إلى باريس حرمت من كل هذه الأمور، وانشغلت بأمور أخرى، وبقيت على هذا الوضع إلى يومنا هذا» انتهى.

١ـ هذه الأبيات من قصيدة رائعة للشيخ عباس الريس البحراني (رحمه الله تعالى).

٢ـ يصادف هذا اليوم ذكرى ميلاد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

قيادته للثورة الإسلامية:

استطاع الإمام بفضل إيمانه الراسخ بالله، أن يقود هذا الشعب الإيراني المسلم بثورة تستأصل الحكم الشاهنشاهي، وإقامة النظام الإسلامي في ١١/ ٢/ ١٩٧٩م، وفي ذلك ضَرَب أروع المُثُل في إنجاح أُطروحة القيادة الإسلامية.

وفاته:

اهتزَّ العالم في الثامن والعشرين من شهر شوال، سنة (١٤٠٩هـ)، عند سماعه نبأ وفاة الإمام الخميني (قدس سره)، وقد شيَّعه أكثر من عشرة ملايين مشيِّع. ودُفِن (قدس سره) بجوار مقبرة جنة الزهراء عليها السلام جنوب طهران، قريباً من مقبرة الشهداء، وذلك حسب وصيته. وصار مرقده الشريف مزاراً للمظلومين والعرفاء.

وله من المؤلفات الكثير، نذكر منها:

١- سرّ الصلاة.

٢- الآداب المعنوية للصلاة.

٣- الأربعون حديثاً.

٤- شرح دعاء السحر.

٥- جنود العقل والجهل.

٦- ديوان شعر.

وكتب فقهية وأصولية وغيرها.

وقد تعرّض الإمام الخميني (قدس سره) في خطاباته وبياناته إلى بعض أسرار الحج، وكان للجوانب السياسية والاجتماعية الحظ الأوفر، وذلك استجابة للظروف التي كانت تعيشها الأمة آنذاك، مضافاً إلى كونه هو الجانب المجهول أو المتروك من هذه المناسك، لذا توجب على الإمام الراحل (قدس سره) أن يركّز على هذه الجوانب أكثر، كما صرّح هو بذلك في بعض الخطابات. وبالرغم من ذلك تجد الكثير من المسائل الروحية والعرفانية التي لا تجدها في كلمات العلماء المتقدمين. وبذلك يندك التوحيد الخالص والعرفان والعروج الروحي والسياسة وهموم المجتمع كلها في بوتقة واحدة في فكر الإمام الراحل (قدس سره)، وهي الحج الإبراهيمي والإسلام المحمدي الأصيل.

تعريف مختصر بالسيد الخامنئي (حفظه الله تعالى):

هو السيّد علي ابن السيد جواد الحسيني الخامنئي، ولد عام ١٩٣٩م في مدينة مشهد المقدّسة.

يقول سماحته عن نفسه:

(قضيت طفولتي في عسر شديد، بحيث لم نكن نتمكّن من أكل

خبز الحنطة، وكنّا عادة نأكل خبز الشعير، أتذكّر أننا في بعض ليالي طفولتي لم يكن لدينا في البيت طعام نأكله للعشاء، كانت والدتي تأخذ النقود التي كانت جدّتي تعطيها لي أو لأحد إخواني أو أخواتي أحياناً وتشتري بها الحليب أو الزبيب لنأكله مع الخبز.

كانت مساحة بيتنا الذي وُلِدْتُ وقضيت حوالي خمس سنوات من عمري فيه بين ٦٠ و٧٠ متراً في حي فقير بمشهد، وفيه غرفة واحدة وسردابٌ مُظلم وضيق.

عندما كان يحلّ علينا ضيف، (وبما أن والدي كان عالم دين يراجعه الناس في شؤونهم، فقد كان دائم الضيوف)، كان علينا الذهاب إلى السرداب إلى أن يذهب الضيف، بعد فترة من الزمن، اشترى بعض المحبّين لوالدي قطعة أرض بجوارنا وألحقوها ببيتنا، فاتّسع البيت ليصبح ثلاث غرف... .

بدأت حضور البحث الخارج عند المرحوم آية الله العظمى الميلاني (رضوان الله عليه)، وحضرت البحث الخارج أيضاً عند آية الله الحاج الشيخ هاشم القزويني (رضوان الله عليه)... .

بعد ذلك ذهبت إلى النجف وحضرت دروس الآيات العظام الحكيم والخوئي والشاهرودي والميرزا باقر الزنجاني والمرحوم ميرزا حسن اليزدي والسيد يحيى اليزدي، وفي كلّ الأماكن التي كان يوجد

فيها درس.

من بين كلّ هذه الدروس، ارتحت كثيراً لدرس آية الله الحكيم؛ لأسلوبه السلس وآرائه الفقهيّة المتقنة، وكذلك أيضاً درس آية الله ميرزا حسن البجنوردي الذي كان يدرّس في مسجد الطوسي.

لم يوافق والدي على بقائي في النجف، فعدت إلى مشهد، وبعد مدّة توجّهت إلى قم.

حضرت درس الإمام، ثم درس آية الله الحاج الشيخ مرتضى الحائري، وكذلك درس آية الله العظمى البروجردي، ومن بين كلّ تلك الدروس، كنت أُشارك في درس الأصول للإمام بصورة مستمرّة، أما في الفلسفة فقد استفدت من درس السيّد الطباطبائي في قسم من الأسفار وقسم من الشفاء) انتهى موضع الحاجة.

وقد شارك بفعالية في قيام الثورة الإسلامية في إيران، وقد اعتقله جلاوزة نظام الشاه عدة مرات.

وبعد انتصار الثورة شغل مناصب عديدة، نذكر منها:

١- وكيل وزارة الدفاع.

٢- عضو مجلس الشورى الإسلامي.

٣- رئيس الجمهورية الإسلامية.

وقد تعرّض لمحاولة اغتيال على يد المنافقين بتاريخ ٢٧/ ٦/ ١٩٨١م

وذلك أثناء إلقائه خطاباً في مسجد (أبو ذر) العاصمة طهران.

وبعد رحيل الإمام الخميني العظيم (قده)، عقد مجلس الخبراء في صباح اليوم التالي جلسة طارئة بحضور جميع الأعضاء، وتمّت مبايعة السيد علي الخامنئي (مدّ ظلّه العالي) وليّاً للأمر وقائداً للثورة الإسلاميّة.

وما زال سماحة السيد الخامنئي ينير الدرب أمام عشاق الحقيقة، والسالكين إلى الله تعالى، فيرشح من خطاباته وبياناته بحور الفوائد والجواهر والدرر، وقد رأيت أن أجمع ما تيسر منها فيما يرتبط بأسرار الحج، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾[1].

تعريف مختصر بالشيخ النراقي (رحمه الله تعالى):

ولد الشيخ محمد مهدي في (نراق) وهي قرية من قرى كاشان بإيران، وانتقل لطلب العلوم الدينية في النجف الأشرف، وكربلاء المقدسة. وتتلمذ على يد الوحيد البهبهاني، والشيخ يوسف البحراني والشيخ مهدي الفتوني (رحمهم الله تعالى).

كان مولعاً بطلب العلم والأخلاق الفاضلة، ويدل على ذلك عدة شواهد:

١ـ الإنسان: ٢٩.

الشاهد الأول: حيث كان يعجز عن توفير ثمن السراج للمطالعة ليلاً كان يدخل إلى مراحيض المدرسة ليطالع مستعيناً بسراجها، ويوهم الداخلين أنه جالس لقضاء الحاجة.

الشاهد الثاني: كان الشيخ النراقي لا يفضُّ الرسائل الواردة إليه، بل يطرحها تحت فراشه مختومة، لئلاً يقرأ فيها ما يشغل باله عن طلب العلم والصبر على هذا الأمر يتطلّب قوّة وإرادة عظيمة، ليست اعتيادية لسائر البشر.

ويتّفق أن يُقتل والده (أبو ذر) المقيم في نراق، وهو يومئذ بأصفهان يحضر على أستاذه الجليل المولى إسماعيل الحاجوئي.

فكتبوا إليه من هناك ليحضر إلى نراق، لتصفية التركة وقِسمَة المواريث وشؤون أخرى، ولكنّه على عادته لم يفض هذا الكتاب، ولم يعلم بكل ما جرى، ثمّ كتبوا له ثانية، ولكنّه لم يجبهم أيضاً.

ولما يئسوا منه كتبوا إلى أستاذه المذكور ليخبره ويحمله على المجيء، وخشي الأستاذ أن يفاجئه بالنبأ، فأظهر له ـ تمهيداً لإخباره ـ الحزن والكآبة، ثمّ ذكر له أنّ والده مجروح، ورجَّحَ له الذهاب إلى بلاده.

ولكنّ هذا المثابر الصلب، القوي الشكيمة، لم يزد أن دعا بالعافية

إلى والده، طالباً من أستاذه أن يعفيه من الذهاب.

وعندئذ اضطرَّ الأستاذ إلى أن يصرِّح له بالواقع، ولكن الولد أيضاً لم يعبأ بالأمر، وأصرَّ على البقاء لتحصيل العلم، إلاّ أنَّ الأستاذ هذه المرَّة لم يجد بُدّاً من أن يَفرضَ عليه السفر، فسافر امتثالاً لأمره المطاع.

ولم يمكث في نراق أكثر من ثلاثة أيّام على بعد الشُقَّة وزيادة المَشَقَّة، ثمّ رجع إلى دار هجرته، وهذه الحادثة لها مغزاها العميق في فهم نفسية هذا العالم الإلهي، وتدلُّ على استهانته بالمال، وجميع شؤون الحياة في سبيل طلب العلم.

وله من التأليفات ما ينيف على الثلاثين مؤلفاً، ومن بينها الكتاب المشهور "جامع السعادات" وهو كتاب في علم الأخلاق وتهذيب النفس، يتكون من ثلاثة أجزاء.

قال الشيخ محمد رضا المظفر (عليه الرحمة) في تقريظ كتاب جامع السعادات: «وفي نظري أن قيمة "جامع السعادات" في الروح المؤمنة التي تقرأها في ثناياه أكثر بكثير من قيمته العلمية، وإني لأتحدى قارئ هذا الكتاب إذا كان مستعداً للخير أن يخرج منه غير متأثر بدعوته، وهذا هو السر في إقبال الناس عليه وفي شهرته... وإني لأؤمن إيماناً لا يقبل الشك أن انتشار هذا الكتاب بين الناس في هذا العصر له أثره المحسوس في توجيه أمتنا نحو الخير» انتهى موضع الحاجة.

تعريف مختصر بالميرزا التبريزي (رحمه الله تعالى):

هو الشيخ الميرزا جواد آقا ابن الميرزا شفيع الملكي التبريزي، نزيل قم المحمية، وقبره في مقبرة شيخان، قريباً من الحرم الملكوتي لكريمة أهل البيت فاطمة المعصومة عليها السلام.

تتلمذ في العرفان والسلوك على العارف الكبير حسينقلي الهمداني (أعلى الله مقامه).

بعض مؤلفاته:

١- كتاب أسرار الصلاة.

٢- كتاب السير إلى الله.

٣- كتاب المراقبات في أعمال السنة، وهو الكتاب الذي سننهل منه إن شاء الله تعالى، قال العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (عليه الرحمة) في تقريظ كتاب المراقبات: «ولست أريد أن أمدح هذه الصحيفة الجليلة، أو أثني على مؤلفه العظيم، فليست هي إلاّ بحراً زاخراً لا يوزن بمنّ ولا صاع، ولا هو إلاّ علمٌ شامخٌ لا يقدّر بشبر أو ذراع. وكفى بالقصور عذراً، وباليأس عن البلوغ راحة. وإنما أريد أن أواجه إخواني من أهل الولاء، وسادتي من أرباب الصدق والصفاء بما فيه بعض التذكرة، وإنّ الذكرى تنفع المؤمنين... .

وما بين أيديكم من الكتاب من أحسن ما عمل في هذا الشأن، ففيه لطائف ما يراقبه أهل ولاية الله، ورقائق ما يهجس في قلوب الوالهين في محبة الله، وجمل ما يلوح للرائضين في عبادة الله، نورّ الله مرقد مؤلفه العظيم، وأفاض عليه من سحائب رحمته ومغفرته، وألحقه بنبيه وآله الطاهرين» انتهى موضع الحاجة.

تعريف مختصر بالفيض الكاشاني (رحمه الله تعالى):

هو الشيخ محمد محسن ابن الشاه مرتضى ابن الشاه محمود المعروف بالفيض الكاشاني. أحد نوابغ العلم في القرن الحادي عشر.

درس العلوم العقلية على الحكيم الملا صدر الدين الشيرازي وتزوّج ابنته بعد ذلك.

وهكذا في الحديث، تتلمذ على يد السيد ماجد البحراني، وروى عن جمعٍ من الفطاحل والأعلام.

قال عنه المحدّث القمي (عليه الرحمة): «أمره في الفضل، والأدب وطول الباع، وكثرة الاطلاع، وجودة التعبير، وحسن التحرير، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول أشهر من أن يخفى»[1].

وله من المؤلفات القيّمة والآثار الثمينة ما يقرب من التسعين، نذكر منها:

١ـ المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، نقلاً عن الكنى والألقاب للشيخ القمي.

١- الصافي في تفسير القرآن الكريم.

٢- الأصفى في تفسير القرآن الكريم.

٣- الوافي.

٤- الشافي.

٥- شرح الصحيفة السجادية.

٦- المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء[1]، وهو الكتاب الذي سننهل منه إن شاء الله تعالى.

اعلم أنّ أبا حامد الغزالي قام بتأليف كتاب أسماه (إحياء العلوم)، ثم قام الفيض الكاشاني (عليه الرحمة) بتهذيب الكتاب، وأسماه "المحجة البيضاء"، لذا فالكتاب مزيج بين قول أبي حامد الغزالي، واستدراكات وتعليقات الفيض الكاشاني (عليه الرحمة).

والحمد لله رب العالمين

الشيخ مرتضى علي الباشا

قم المقدسة

١ـ ويسمى أيضاً "المحجة البيضاء في إحياء الإحياء".



الفصل الأول

إشراقات الإمام الخميني

(قدس سره)





الحج:

● إنّ المراتب المعنوية للحج هي رأس مال الحياة الخالدة، وهي التي تقرّب الإنسان من أُفق التوحيد والتنزيه، ولن نحصل عليها ما لم نطبق أحكام وقوانين الحج العبادية بشكل صحيح وحسن، وحرفاً بحرف. وإذا ما دفنتم في عالم النسيان الجهات المعنوية، فلا تظنوا أنكم قادرون على التخلص والتحرر من مخالب شيطان النفس. وما دمتم في أسر وقيد ذواتكم وأهوائكم النفسانية، فلن تستطيعوا جهاداً في سبيل الله ودفاعاً عن حرماته تعالى .

● في المواقيت الإلهية والمقامات المقدّسة، في جوار بيت الله المليء بالبركات، راعوا آداب الحضور في الساحة المقدّسة للعليّ العظيم، وحرّروا قلوبكم أيها الحجّاج الأعزّاء من جميع الارتباطات المتعلّقة بغير الله، وأخرجوا من قلوبكم غير حبّ الله، ونوّروها بأنوار التجليات الإلهية، حتى تكون الأعمال والمناسك في سيرها إلى الله مليئة بمضمون الحج الإبراهيمي وبعده بالحجّ المحمدي، وبمقدار تخفيف الحمل من أفعال الطبيعة يسلم الجمع من أوزار المنى والمنية، وبحمل ثقل معرفة الحق وعشق المحبوب تعودون إلى أوطانكم، وتجلبون

للأصدقاء هدايا النعم الإلهية الأزلية بدل الهدايا المادية الفانية، وبقبضات مليئة بالقيم الإنسانية الإسلامية، التي بعث لأجلها الأنبياء العظام من إبراهيم خليل الله إلى محمد حبيب الله صلى الله عليهم وآلهم أجمعين تلتحقون بالرفاق عشّاق الشهادة. هذه القيم والدوافع التي تحرر الإنسان من أسر النفس الأمّارة بالسوء، وتنجي من الارتباط بالشرق والغرب وتوصل إلى شجرة الزيتون المباركة اللاّشرقية واللاّغربية.

● الحج هو نداء لإيجاد وبناء المجتمع البعيد عن الرذائل المادية والمعنوية. الحجُّ ومناسكه هو تجلٍّ عظيم لحياة كريمة ومجتمع متكامل في هذه الدنيا. ومن ذلك المكان ومن ذلك الموقع الذي يتواصل فيه مجتمع المسلمين من أي قومية كانوا ويصبحوا يداً واحدة، ينطلق أداء هذه الفريضة المباركة، التي يجب أن يكون أداؤها وجوهرها توحيدياً إبراهيمياً محمدياً. إنّ الحج هو ساحة عرض ومرآة صادقة للاستعدادات والقابليات المادية والمعنوية للمسلمين، الحج كالقرآن يستفيد منه المجتمع. فالمفكرون والعارفون بآلام الأُمّة الإسلامية إذا ما فتحوا قلوبهم ولم يهابوا الغوص عن قرب في أحكامه وسياساته الاجتماعية سيصطادون الكثير من صدف هذا البحر جواهر الهداية والرشد والحكمة والحرية، وسيرتوون إلى الأبد من زلال حكمته ومعارفه، ولكن ماذا نفعل؟ وأقولها بألم وحزن: إنّ الحج أصبح مهجوراً كالقرآن، وبنفس

النسبة التي اختفى فيها هذا الكتاب ـ كتاب الحياة والكمال والجمال ـ بسبب حجب النفس التي صنعناها بأيدينا، ودفنا هذا الكنز، كنز أسرار الخلق، فكذلك الحج أصبح أسيرَ هذا القدر، قدر أن الملايين من المسلمين يجتمعون كلّ سنة ويضعون أقدامهم محل قدم محمد وإبراهيم وإسماعيل وهاجر، ولا يوجد أحد يسأل ماذا فعل إبراهيم ومحمد؟ ما هو هدفهما؟ ماذا طلبا منّا؟ وهذا ما لا نفكّر فيه!.

● الحج هو تنظيم وتمرين وخلق تجانس لهذه الحياة التوحيدية وهو ميدان ومرآة لتقييم مدى استعداد المسلمين وقدراتهم المادية والمعنوية.

● انتبهوا إلى أن سفر الحجّ ليس سفر كسب وتجارة، وليس سفراً لتحصيل الدنيا، وإنما هو سفر إلى الله. أنتم تتجهون إلى بيته، فلا بد أن تقصدوا الله في كل ما تقوموا به. سفركم يبدأ من هنا "وفد إلى الله" سفر إلى الله تبارك وتعالى. ويجب أن يكون ذلك نموذجاً عن سفر الأنبياء والأولياء إلى الله تعالى طوال حياتهم دون أن يتخلفوا في ذلك خطوة واحدة عن برنامجهم في الوصول إليه.

● ليس حجاً ذلك الحج الخالي من الروح والتحرك والقيام، والفاقد للبراءة والوحدة، وغير الداعي لهدم الكفر والشرك.

فلسفة الحج:

● إنّ أهم علة تعاني منها المجتمعات الإسلامية هي أنها لم تدرك الفلسفة الحقيقية للكثير من الأحكام الإلهية، والحج بكل ما يشتمل عليه من أسرار وعظمة لازال يمارس كعبادة جامدة وحركات غير مثمرة، إنّ من الواجبات الكبرى على المسلمين أن يصلوا إلى هذه الواقعية: ما هو الحج؟ ولماذا يجب عليهم دائماً أن يخصصوا جزءاً من إمكاناتهم المادية والمعنوية لأجل أدائه؟!.

● كل ما قدّمه الجهلة أو المغرضون أو المرتزقة تحت عنوان "فلسفة الحج" لا يعدو إطار تصويره بأنه عبادة جماعية، سفر وزيارة وسياحة؛ فما علاقة للحج بالإجابة عن تساؤلات كيف يجب أن نحيا؟ وكيف يجب أن نجاهد؟ وبأية صورة نواجه عالم الرأسمالية والشيوعية؟ وما علاقة الحج بوجوب انتزاع حقوق المسلمين والمحرومين من الظالمين؟ وما علاقته بوجوب التفكير بسبيل لإنقاذ المسلمين مما يتعرضون له من ظلم وأذى وضغوط نفسية وجسدية؟ ما علاقة الحج بلزوم أن يظهر المسلمون كقوة كبرى ثالثة في العالم؟ وما شأنه هو بأن يحرّض المسلمين للانتفاضة على الحكومات العميلة؟ وهل هو إلاّ سفرة سياحية لزيارة الكعبة والمدينة لا أكثر!.

والحال أن الحج هو من أجل اقتراب الإنسان من ربّ البيت واتصاله به، فليس الحج حركات وأعمالاً وألفاظاً فحسب؛ فبالكلام والألفاظ والحركات الشكلية الجامدة لا يصل الإنسان إلى الله. الحج منبع المعارف الإلهية، فيجب البحث فيه عن المحتوى الحقيقي للسياسة الإسلامية ولجميع شؤون الحياة. الحج هو منطلق دعوة لإيجاد وبناء مجتمع مطهّر من كافة الرذائل المادية والمعنوية. الحج هو تجلي وإعادة تجسيد كافة ملاحم العشق الإلهي، وعشق حياة الإنسان الكامل والمجتمع الكامل في هذه الدنيا.

ومناسك الحج هي مناسك الحياة برمتها، وعلى هذا يجب على شعوب الأمة الإسلامية ـ من أية قومية كانت ـ أن تصبح إبراهيمية لتلتحق بجميع أمة محمد ﷺ وتذوب فيها، فتصبح معها يداً واحدة.

الحج هو تنظيم وتدريب وتأسيس لهذه الحياة التوحيدية، والحج هو ميدان تجلّي عظمة طاقات المسلمين واختبار قواهم المادية والمعنوية.

الحج كالقرآن، ينتفع منه الجميع، ولكن العلماء والمتبحّرين والعارفين بآلام الأمة الإسلامية، إذا فتحوا قلوبهم لبحر معارفه، ولم يرهبوا الغوص والتعمق في أحكامه وسياساته الاجتماعية، فسيصطادون من أصداف هذا البحر جواهر الهداية والوعي والحكمة والرشاد

والتحرر، ولارتووا من زلال الحكمة والمعرفة إلى الأبد.

● من أهم الأمور في فلسفة الحج: إيجاد التفاهم وتحكيم الأخوّة بين المسلمين.

البيت الحرام:

● إنّما أسس البيت الحرام للقيام والنهضة، قيام الناس وللناس. لذا وجب أن يكون الاجتماع فيه من أجل هذا الهدف.

● مكة المعظمة هي المركز الوحيد لتحطيم هذه الأصنام؛ إبراهيم الخليل في أول الزمان وحبيب الله محمد ﷺ وابنه العزيز المهدي الموعود (روحي فداه) رفعوا ويرفعون نداء التوحيد في آخر الزمان من الكعبة. قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1]، وقال: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[2]. وهذا التطهير يشمل كل الأرجاس وعلى رأسها الشرك المذكور في صدر الآية الكريمة.

● ومن المسائل التي يجب على الحجاج المحترمين الانتباه إليها هي أن مكة المعظمة والمشاهد المشرفة، هي مرآة الأحداث الكبرى لنهضة

١ـ الحج: ٢٧.

٢ـ الحج: ٢٦.

الأنبياء وبعثة ورسالة النبي الأكرم ﷺ.

إنّ هذه الأرض هي مكان نزول جبرئيل الأمين وإجلال الأنبياء العظام، وتذكرنا بالأتعاب والمصائب التي تحملها الرسول الأكرم ﷺ خلال عدة سنوات، من أجل الإسلام والإنسانية.

إنّ التواجد في هذه المشاهد المشرفة والأماكن المقدسة (آخذين بعين الاعتبار الظروف الصعبة التي كانت سائدة عصر البعثة) يجعلنا نتعرف على مسؤوليتنا في المحافظة على مكتسبات هذه النهضة والرسالة الإلهية، ويظهر لنا ما عاناه الرسول الأكرم وأئمة الهدى من أجل دين الحق وإزهاق الباطل، وعدم خشيتهم ومبالاتهم من التهم والإهانات التي كان يوجهها أبو لهب وأبو جهل وأبو سفيان ومن لفّ لفهم. إنهم لم يستسلموا في أصعب الظروف حينما كانوا من الناحية الاقتصادية في شعب أبي طالب، وبعد أن تحملوا المرارة ومشقات الهجرة في سبيل الدعوة إلى الحق وإبلاغ رسالة الله. وتواجدوا في ميادين الحروب المتتالية وغير المتكافئة، وصمدوا بوجه آلاف المؤامرات والعقبات واستقروا في هداية الناس وإرشادهم، حتى إنّ جبال وصحاري وصخور وأزقة وأسواق مكة والمدينة امتلأت ضجيجاً من عظمة رسالتهم. ولو كانت هذه الأشياء قادرة على الكلام لكشفت سرَّ تحقق الآية ﴿فَاسْتَقِمْ

كَمَا أُمِرْتَ﴾[١] إلى زائري بيت الله الحرام، وأظهرت المشقات التي تحملها رسول الله ﷺ من أجل هداية المسلمين لجعلهم من أهل الجنة وبينت مدى المسؤولية الملقاة على عاتق أتباعه.

الإخلاص:

● ومن الأمور المهمّة في جميع العبادات هو الإخلاص في العمل فلو أدّى أحد عملاً ـ لا سمح الله ـ للرياء والتظاهر والتفاخر على الآخرين فإنّ عمله باطل. وعلى الحجاج الكرام الاهتمام بعدم إشراك شيء غير رضا الله في أعمالهم. والجهات المعنوية للحج كثيرة، والمهم أن يعلم الحاج إلى أين يذهب ولدعوة من يستجيب، وعلى ضيافة من يحلّ، وما هي آداب هذه الضيافة. وعليه أن يعلم أنّ الارتكاس في الذاتية والغرور يتعارض مع السموّ إلى الله ومع الهجرة إلى الله، ويؤدي إلى نقص معنوية الحج. ولو تحقق في الإنسان هذا الجانب العرفاني والمعنوي وحده واقترنت التلبية صدقاً بنداء الله تعالى، فإنّ الإنسان ينتصر في جميع الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، بل حتى العسكرية؛ ومثل هذا الإنسان لا يعرف الهزيمة والفشل. نسأل الله تعالى أن يرزقنا جميعاً شمّة من هذا السير المعنوي والهجرة الإلهية.

١ـ هود: ١١٢.

الأنس بالقرآن الكريم:

● أذكّر الحجاج المحترمين أن لا يغفلوا في هذه المواقف المعظمة وخلال السفر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة عن الاستئناس بالقرآن الكريم، هذه الصحيفة الإلهية وكتاب الله الهادي، فكل ما عند المسلمين وما سيكون عندهم خلال عصور التاريخ الماضية والقادمة أنما هو من البركات المغدقة لهذا الكتاب المقدس، وبهذه المناسبة أطلب من كل العلماء الأعلام وأبناء القرآن والعلماء العظام أن لا يغفلوا عن هذا الكتاب المقدس الذي فيه تبيان كل شيء، وهو الصادر عن مقام الجمع الإلهي إلى قلب النور الأول، فسطع ظهور جمع الجمع، وهو الصورة العينية المدونة لجميع الأسماء والصفات والآيات والبينات، ونحن قاصرون عن أبعاده الغيبية فلا يعلم أسرارها إلاّ جامع من خوطب به (عليه الصلاة والسلام). والأولياء العظام تعلّموا ما تعلّموا أخذاً عنه ﷺ. والمخلصون من أهل المعرفة انتهلوا من ينبوعه بمقدار استعدادهم وسيرهم على طريق بذل الجهد والرياضات القلبية. والآن فإنّ الصورة المدونة لهذا الكتاب المأخوذ عن لسان الوحي بعد النزول قد وصلت إلى أيدينا كاملة دون زيادة حرف أو نقصان حرف، فالحذر الحذر من هجره، لا سمح الله.

نعم، الأبعاد المختلفة لهذا الكتاب بكل آفاقها ليست في متناول

البشر العاديّين، لكن على أهل المعرفة والتحقيق في الفروع المختلفة أن ينهلوا بقدر علمهم ومعرفتهم وكفاءاتهم من هذا الكنز العرفاني الإلهي الفيّاض والبحر الموّاج النازل على محمد ﷺ، ويقدموه بتعبيرات مختلفة قريبة للأذهان إلى الآخرين.

الأخلاق الحسنة:

● إنكم تتجهون إلى بلد يضم بيت الله تعالى وكعبة آمال الأنبياء العظام والأولياء الكرام، إنه محل الوحي ومهبط جبرائيل الأمين وملائكة الله. تذهبون إلى الله كي تكون كل حركاتكم وسكناتكم إلهية، تذهبون إلى مذبح إسماعيل العزيز، حيث فيه دروس التضحية بكل شيء على طريقه سبحانه، وتذهبون إلى مدينة محمد ﷺ كي تصبحوا محمديين وتتعلموا كيف تعيشون، وكيف تجاهدون وكيف تسارعون صوب المعشوق، تذهبون إلى قبر الرسول الأعظم وقبور الأولياء العظام الذين لم يأبهوا لحظة بالدنيا وزخارفها، ولم يفكروا بشيء سوى الله وأوامره، ولم يقطعوا خطوة إلا على طريق رضاه. كونوا ـ إذن ـ واعين من أين تغادرون وإلى أين تتجهون!!

مسؤوليتكم ثقيلة جداً، وحركاتكم في حضور الله ومراقبة أولياء الله وملائكته، وهي إضافة إلى ذلك أمام أنظار الآلاف من حجاج البلدان

الإسلامية وحجاج مختلف بقاع العالم.... ومع أنكم تعملون ما يجب أن تعملوه وما يجب أن تحذروه، ولكن أداءً لما عليّ من تكليف وإتماماً للحجة أشير إلى المهمّ منها:

التزموا بالأخلاق الكريمة الإنسانية والإسلامية بدقة مع جميع الحجاج من كل فئة وطائفة، ومن كل لون ولغة، ومن كل صقع وبلد وكونوا في تعاملكم وترددكم وفي جميع الأحوال والأوضاع والأحداث صبورين ووقورين وكونوا كراماً في سلوككم، قابلوا الخشونة بالرفق والحلم، والإساءة بالمحبة والإحسان، ومن أجل رضا الله تعالى قابلوا كل حادث سيّئ من أي شخص كان، بانشراح وسعة صدر، فتلك المواقف الكريمة والبقاع الشريفة ليست محل نزاع وجدال، وليكن سلوككم دالاً على أنكم جئتم من بلد الإمام الصادق عليه السلام، وتلك خدمة جليلة للإسلام وللجمهورية الإسلامية ولشعبكم العزيز، وستجدون لدى عودتكم من السفر جرّاء ذلك لذّة، إضافة إلى ما تنعمون به من رضا الباري تعالى والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وبقية الله (روحي لمقدمه الفداء) وهو الشاهد والحاضر.

التلبيات:

● التلبيات المكررة تكون حقيقة من أُولئك الذين سمعوا نداءَ الله

فأجابوا دعوته ـ سبحانه ـ باسمه الجامع. المسألة مسألة الحضور في المحضر (الإلهي)، ومشاهدة جمال المحبوب، وكأن الملبي قد ذابت ذاته في هذا المحضر فيكرر تلبية (لبيك اللهم لبيك)، ويتبع ذلك سلب الشريك (لبيك لا شريك لك لبيك)... سلب الشريك بالمعنى المطلق وأهل الله يعلمون أنّ هذا السلب للشريك لا يقتصر على الإلوهية، وإن كان سلب الشريك في (الإلوهية) يشمل ـ في نظر أهل المعرفة ـ جميع المراتب حتى فناء العالم.

وتحوي (التلبية) جميع الفقرات الاحتياطية والاستحبابية، ففيها تخصيص الحمد بالله والنعمة به، وتنفي عنه مرة أُخرى الشريك (إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك)، وهذه عند أهل المعرفة غاية التوحيد، وتعني أنّ كل حمد ونعمة في عالم الوجود أنما هو حمد الله ونعمة الله سبحانه بدون شريك. ويجري هذا الموضوع والهدف الأعلى في كل موقف ومشعر وعمل وحركة وسكون، وخلافه الشرك بالمعنى الأعم الذي نحن ـ جميع عمي القلوب ـ مبتلون به.

● إن كلمة (لبيك) التي تتلفظون بها هي استجابة كبيرة وعميقة لدعوة الحق تعالى، وبها تنفون صفة الشرك بجميع مراتبها، وعليكم أن تشعروا بذلك أنفسكم، وبها تهاجرون بأنفسكم التي هي منشأ الشرك الكبير نحو الباري جلّ وعلا. وعندئذ تنالون أجركم، وهو على الله تعالى

حتى وإن أدرككم الموت في هجرتكم هذه.

● تذهبون إلى الميقات، وتقولون "لبيك" إلى الله، يعني أنت دعوتنا ونحن أجبنا. فحذار أن تقوموا بما يؤدي إلى رفض الله تلبيتكم لعدم استقامتكم على الإسلام.

● عند التلبية: أطلقوا صيحات "لا" على كل الأصنام وكل الطواغيت الكبار والصغار.

الطواف:

● وأثناء الطواف في حرم الله حيث يتجلى العشق الإلهي، أخلوا قلوبكم من الآخرين، وطهروا أرواحكم من أي خوف لغير الله. وفي موازاة العشق الإلهي، تبرأوا من الأصنام الكبيرة والصغيرة والطواغيت وعملائهم وأزلامهم، حيث إنّ الله تعالى ومحبيه تبرأوا منهم، وإن جميع أحرار العالم بريئون منهم.

● الطواف حول بيت الله مؤشر لعدم الالتفاف حول غير الله.

الحجر الأسود:

● وفي لمسكم للحجر الأسود بايعوا الله لأن تكونوا أعداءً لأعداء الله ورسوله والصالحين والأحرار، ورافضين لإطاعتهم وعبوديتهم، أيّاً كانوا، وأينما كانوا. واقتلعوا جذور الخوف والضعف من قلوبكم، فإن

كيد أعداء الله وعلى رأسهم الشيطان الأكبر كان ضعيفاً، مهما تفوّقوا في وسائل القتل والدمار والإجرام.

السعي:

● وفي السعي بين "الصفا" و"المروة" اسعوا بصدق وإخلاص لأن تجدوا المحبوب، فإن وجدتموه تنقطع كل الانشدادات الدنيوية وينقلع كل شك وتردد، ويزول كل خوف ورجاء حيواني، وتنفصم كل القيود المادية، فتتفتح براعم الحرية وتتحطم القيود التي كبّل بها الطواغيت عباد الله وأسروهم واستعبدوهم.

عرفات والمشعر الحرام:

● واتّجهوا إلى "المشعر الحرام" و"عرفات" بشعور وعرفان، وزيدوا دوماً من ثقتكم بوعد الله وحكومة المستضعفين، وتفكّروا بآيات الله في سكوت وسكون، وفكّروا في إنقاذ المحرومين والمستضعفين من مخالب الاستكبار العالمي، واطلبوا انفتاح سبل النجاة في تلك المواقف الكريمة من الله تعالى.

مناسك منى:

● توجهوا إلى منى، احصلوا على آمالكم الحقة هناك، وهي

التضحية بأحب الأشياء في سبيل المحبوب المطلق. واعلموا أنكم ما لم تتخلوا عما تحبّون ـ وأساسه حب النفس الذي يتبعه حب الدنيا ـ فإنّكم لن تصلوا إلى المحبوب المطلق.

● إن هذا السفر الإلهي الذي تذهبون إليه، وترجمون فيه الشيطان وإذا ما كنتم ـ لا سمح الله ـ من جنود الشيطان سترجمون أنفسكم أيضاً. يجب أن تكونوا فيه رحمانيين، وأن تصبحوا رحمانيين، حتى يكون رجمكم رجم أتباع الرحمن وجنوده للشيطان، وأنتم تقفون في تلك المواقف والمواضع الكريمة، معاذ الله أن يتلوّث وقوفكم بشيء خلاف الشرع، أو يتلوّث بالمعصية، ففضلاً عن إراقة ماء الوجه أمام الله تسقط كرامة الإسلام في الدنيا. اليوم كرامة الإسلام متقوّمة بوجودكم، أنتم الذين تذهبون جماعات جماعات إلى تلك المواقف الكريمة ويشاهدكم سائر المسلمين من شتى بقاع الدنيا.

● رمي الجمرات هو رجم لشياطين الإنس والجن. أنتم برجمكم عاهدوا الله على طرد شياطين الإنس والقوى المتجبّرة من البلدان الإسلامية العزيزة.

● العيد عندنا له معنى، وعند إبراهيم والأنبياء له معنى آخر. عيدهم عيد اللقاء.

الإرشاد:

● إنني أوصي جميع العلماء المحترمين والكتاب والمتحدثين الملتزمين أن يوضّحوا لجميع المسلمين وخاصة الحجاج منهم أهداف هذه الفريضة المقدّسة. كما أني أوصيهم بتعليم الحجاج مناسك الحج وكيفية أدائها بشكلها الصحيح حتى يكون عملهم خالياً من الأخطاء وعدم الاكتفاء بأننا أدينا الفريضة وأنجزنا الواجب كيفما كان، فإن الأخطاء في هذه الفريضة تترك آثاراً وإشكالات على صحتها قد تكلفهم وقتاً وجهداً مضاعفاً لتصحيحها.

● على الحجاج المحترمين والعلماء المعظّمين مسؤولي قوافل الحجّاج أن يصرفوا وقتهم، ويكون كل همّهم تعليم وتعلم مناسك الحج ـ على العارفين مراقبة من يرافقهم من الحجاج حتى لا يتخلف أحدٌ عن أداء المناسك والأوامر لا سمح الله ـ علموا ـ جميعاً ـ أنّ البعد السياسي والاجتماعي للحج لا يتحقق إلاّ بعد أن يتحقق البعد المعنوي الإلهي.

● أيها الخطباء.. أيها الكتّاب.. حضّروا الاجتماعات الكبرى في عرفات والمشعر ومنى ومكة المعظمة والمدينة المنورة، وتحدثوا لإخوانكم في الإيمان عن القضايا الاجتماعية والسياسية لبلدانكم واطلبوا نصرة بعضكم من بعض.

الرفاهية في الحج:

● فيما يتعلق بالحج والسادة العاملين في القوافل، تكمن حقيقة الحج في ضرورة التعرف على معاناة الفقراء والمساكين والاصطباغ بصبغتهم، وإذا ذهب بكم التصور إلى ضرورة حصولكم في الحج على الرفاه الذي لم تعتادوا عليه حتى في منازلكم، فلا يعتبر سفركم إلى البيت الحرام حجاً، فالحج الذي أوجبه الله تعالى هو الحج الذي تتعرفون من خلاله على حياة الناس..

على السادة المشائخ العمل على لفت انتباه الناس إلى هذه المسائل حتى لا يبالغوا في المطالبة برغباتهم ورفع مستوى توقعاتهم.

في هذه الأيام تذهبون بالطائرة، بينما كان السفر سابقاً على ظهور البغال، كانت الرحلة تستغرق أحياناً أربعة عشر شهراً ذهاباً وإياباً. أما الآن فيستغرق السفر بالطائرة ساعتين أو ثلاث مع الراحة. سابقاً حينما كانوا يصلون مكة والمدينة لا يجدون السكن ومحل الإقامة معداً لهم، وإنما عليهم البحث بأنفسهم... .

عليكم أيها المشائخ أن تذكروا الناس بأنه لو نقص شيء، فالسادة قد سبقوكم لتوفير الراحة لكم، وسعوا لذلك سعياً حثيثاً وما زالوا يسعون ولا يسعهم أكثر. بل بذلوا كل ما بوسعهم واستطاعتهم. فلو رأيتم في

وقت ما بعض النواقص، فهذا لا يعني أنّ السادة لا يريدون الأفضل، بل ليس بوسعهم. فإذا لم يستطيعوا ماذا عليهم أن يعملوا ؟!. هل يقولون للناس: لا تأتوا الحج؛ لأنّا لم نستطع توفير سكن كبير لكم ؟!! أو لم نستطع توفير محل لنزهتكم !!، أو يقولون: تعالوا وتذكروا الفقراء بمقدار ما.

جوانب أخرى:

● فريضة الحج لها بين الفرائض الإلهية خصائص متميزة، ولعل الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه الفريضة تفوق جوانبها الأخرى، مع أن جانبها العبادي ذو خصائص متميزة أيضاً.

على المسلمين الملتزمين الذين يجتمعون مرة كل عام على صعيد المواقف الشريفة، ويؤدون واجباتهم الإسلامية في هذا التجمع العام والحشد الإلهي بمعزل عن الامتيازات، وبمظهر واحد، ودون اهتمام بما يميز بينهم من لون أو لغة أو بلد أو منطقة، وبأبسط المظاهر المادية وباندفاع نحو المعنوية ونحو الوفود على الله... عليهم أن لا يغفلوا الجوانب السياسية والاجتماعية لهذه العبادة.

● ومن واجبات هذا التجمع العظيم، دعوة الناس والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة وإزالة الخلافات بين فئات المسلمين، وعلى

الخطباء والوعّاظ والكتّاب أن يهتمّوا بهذا الأمر الحياتي، ويسعوا إلى إيجاد جبهة للمستضعفين للتحرر بوحدة الجبهة ووحدة الكلمة وشعار "لا إله إلاّ الله"، من أسر القوى الأجنبية الشيطانية والمستعمرة والمستغلة وللتغلب، بالأُخوة الإسلامية، على المشاكل.

● إنّ شرط تحقق الآمال الفطرية والإنسانية في كل المناسك والمواقف هو اجتماع كل المسلمين في هذه المراحل والمواقف ووحدة كلمة جميع الطوائف الإسلامية دون أن تفرق بينهم اللغة واللون والقبيلة والطائفة والوطن والعصبيات الجاهلية، وشرط ذلك النهوض المنسجم بوجه العدوّ المشترك.. وهو عدّو الإسلام العزيز، هذا العدو تلقّى في عصرنا صفعة من الإسلام، ولذلك يرى الإسلام سداً أمام أطماعه ويسعى عن طريق بث التفرقة والنفاق لأن يزيل هذا المانع المحسوس من طريقه، ويحرك عملاءه، وعلى رأسهم رجال الدين الحسّاد الدنيويون المتملّقون على أعتاب السلطان، كي ينفّذوا أهدافه في كل مكان وفي مختلف الأوقات، وخاصة في موسم الحج والاجتماعات المقدسة.

على المسلمين المجتمعين في مواقف هذه العبادة الرامية إلى تجميع المسلمين من كل أرجاء الأرض ليشهدوا منافع لكل المستضعفين في العالم، وأيّ منافع أعظم من قطع يد الطامعين عن البلدان الإسلامية؟! عليهم أن يراقبوا بحذر الأعمال المعادية للإسلام والقرآن الصادرة من

هؤلاء العملاء الخبثاء ورجال الدين المفرّقين، وعليهم أن يطردوا الذين لا يقبلون النصيحة منهم ولا يعيرون أهمية للإسلام ولمصالح المسلمين فهؤلاء أفظع من الطواغيت وأخبث منهم.

● إعلان البراءة من المشركين التي تعتبر من الأركان التوحيدية والواجبات السياسية للحج، يجب أن تقام في أيام الحج بكل صلابة وعظمة مسيرات ومظاهرات كبرى، وعلى الحجاج المحترمين، إيرانيين وغير إيرانيين، أن يشاركوا فيها بتنسيق تام...، ويطلقوا بجوار بيت التوحيد صرخة البراءة من مشركي وملحدي الاستكبار العالمي، وعلى رأسهم أمريكا المجرمة، وألا يغفلوا عن إظهار عدائهم واستيائهم من أعداء الله وخلقه، فهل أن تحقيق الديانة هو غير إعلان المحبة والإخلاص للحق وإعلان الغضب والبراءة من الباطل؟ فيستحيل أن يتحقق خلوص حب الموحدين بغير إظهار الاستياء تجاه المشركين والمنافقين، وأي بيت هو أفضل من الكعبة، البيت الآمن والطاهر، بيت الناس، لنبذ كل أشكال الظلم والعدوان والاستغلال والرق والدناءة واللاإنسانية قولاً وفعلاً وتحطيم أصنام الآلهة تجديداً لميثاق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[١] وذلك إحياءً لذكرى أهم وأكبر حركة سياسية للرسول التي عبر عنها القرآن بقوله:

١ـ الأعراف: ١٧٢.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ﴾[1] ذلك أنّ سنة الرسول وإعلان البراءة لن يبليا، لأن إعلان البراءة لا يقتصر فقط على أيام ومراسم الحج، أذان على المسلمين أن يملأوا أجواء جميع أنحاء العالم بالمحبة والعشق للباري، وبالبغض والاستياء والرفض لكل أعداء الله، ويجب إلاّ يصغوا إلى وسوسة الخناسين وشهادة المشككين والجهال والمنحرفين وألا يغفلوا لحظة واحدة عن هذا النشيد التوحيدي المقدس الشامل.

● شيخ الموحدين ومحطم الأصنام العالمي هذا علّمنا وعلّم البشرية أنّ التضحية في سبيل الله ذات جوانب سياسية وقيم اجتماعية أكثر من الجوانب التوحيدية والعبادية.

علّمنا وعلّم الجميع أن نقدّم أعزّ ثمار الحياة في طريق الله، أن نفدي أنفسنا وأعزتنا ونقيم دين الله والعدل الإلهي، ثمّ نُعيّد.

بيّن لنا ذرية آدم أن مكة ومنى محل تضحية العاشقين، ومكان نشر التوحيد ورفض الشرك؛ والتعلّق بالأعزّة شرك أيضاً.

لقّن أبناء آدم دروساً معطاءة في الجهاد على طريق الله و(علّمنا) أن نبلغ العالمين (دروس) التضحية والتفاني من هذا المكان، أن نقول للعالم:

١ـ التوبة: ٣.

يجب التفاني من أجل الحق وإقامة العدل الإلهي وقطع يد المشركين وتقديم كل شيء حتى مثل إسماعيل، ذبيح الله، كي يبقى الحق خالداً.

محطم الأصنام هذا ونجله العزيز، محطم الأصنام الآخر سيد الأنبياء محمد المصطفى ﷺ علّموا البشرية أنّ الأصنام، مهما كان لونها، يجب أن تُحطَّم، والكعبة التي هي أم القرى وما امتدّ منها حتى آخر نقطة في الأرض وإلى آخر يوم من حياة العالم ينبغي أن تطهّر من لوث الأصنام مهما كانت الأصنام، هياكل أم شمساً أم قمراً أم حيواناً أم إنساناً. وأي صنم أسوأ وأخطر من الطواغيت على مرّ التاريخ! ابتداءً من زمان آدم صفي الله ومروراً بإبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله (صلى الله عليهم وآلهم أجمعين) حتى آخر الزمان، حيث يرفع نداء التوحيد من الكعبة محطم الأصنام الأخير.

أليست القوى الكبرى في زماننا أصناماً كبرى تدعو الناس إلى طاعتها وعبادتها والخضوع إليها، وتفرض نفسها عليهم بالقوة والمال والتزوير؟!

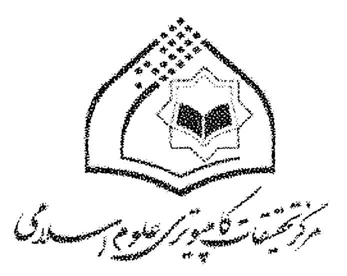


الفصل الثاني

فيوضات السيد الخامنئي

(حفظه الله تعالى)





البعد الفردي والاجتماعي:

● أما البعد الإلهي والفردي فالحج واجب يتألف من شتّى أنواع وأقسام العبادات، بما يشتمل عليه من واجبات ومستحبات وصلاة وطواف وسعي ووقوف ودعاء ومبيت ومناجات وإفاضة، وفيه استمرارية متصلة. وأي إنسان يستطيع الاستفادة حقيقة من أيام الحج المعدودة هذه على الصعيد الفردي، يكفيه هذا السفر لإصلاح ذاته إلى آخر حياته. ولو قارنّا بين الحج والصلاة أو الحج والصيام لكان من الواضح أرجحية الحج عليها بما يحمله من مفاهيم معنوية وحالات روحية وعلاقة بالله وتضرّع إليه وما إلى ذلك.

وهكذا الحال في الجانب الاجتماعي أيضاً، حيث يمكن القول بطبيعة الحال: إنّ أكثر الفرائض العبادية في الإسلام ـ وحتى الصلاة ـ لها جانب اجتماعي، إلاّ أنّ الجانب الاجتماعي في الحج غريب في بابه عظيم وكبير في عمقه، خالد في محتواه، لا في ذاكرة فرد فقط، وإنّما في ذاكرة أمة وفي ذاكرة شعب. ولو تمّت الاستفادة حقاً من موسم الحج من حيث الجانب الاجتماعي، لكانت شعائر الحج هذه التي تقام مرّة سنوياً كفيلة بإيجاد تغيير في العالم الإسلامي. ولو كانت العلاقات

سليمة، والقلوب متواصلة، وتبادلت الشعوب بينها المفاهيم والثقافات والمعلومات المتنوّعة، والتقى المسلمون ببعضهم الآخر هناك، وأدركوا معنى الطواف والسعي والوقوف والمبيت، وفهموا مضامينها الاجتماعية لكان الحج قادراً على إصلاح شأن الأمة.

التوحيد والوحدة:

● الحج الإبراهيمي هو الذي فيه يتحرك المسلمون من التفرقة إلى التجمع ويطوفون حول الكعبة.. مبنى التوحيد الخالد ورمز البراءة والنفرة من الشرك والوثنية.. عن معرفةٍ بمعناها الرمزي، ويصلون من ظاهر المناسك وهيكلها إلى باطنها وروحها، ويتزودون منها لحياتهم وحياة أمّة الإسلام.

وها أنا ذا اغتنم فرصة التدبر في مناسك الحج، مؤملاً رحمة الله وهدايته وداعياً لكم أيها الإخوة والأخوات من جميع أرجاء العالم الإسلامي، أن يكون حجكم مقبولاً معطاءً، مذكراً إياكم بأمور يعود الانتباه إليها بالنفع على كل أفراد المسلمين.

الموضوع الأول يرتبط بالتوحيد الذي يشكل روح الحج الأساسية ومضمون كثير من أعماله ومناسكه.

والتوحيد بمفهومه القرآني العميق يعني التوجه والحركة نحو الله

ورفض الأصنام والقوى الشيطانية، أخطر هذه القوى في داخل وجود الكائن البشري هي النفس الأمارة والأهواء المضللة الدنيئة.

● القرآن يطلق على أعمال الحج اسم (الشعائر) وهذا يعني أنّها لا تنحصر في أعمال فردية وتكاليف شخصية، بل إنها معالم تثير شعور الإنسان وتفتح معرفته على ما ترمز له تلك المعالم وتدلّ عليه. ووراء هذه المعالم يقف التوحيد، أي رفض كلّ القوى التي تهيمن بشكل من الأشكال على جسم الإنسان وروحه، وترسيخ الحاكمية الإلهية المطلقة على كل الوجود، وبعبارة واضحة مألوفة: حاكمية النظام الإسلامي والقوانين الإسلامية على الحياة الفردية والاجتماعية للمسلمين. في آيات الحج نرى القرآن يدعو الجميع إلى البراءة من أوثان المشركين: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾[1].

● النقطة الأُخرى هي قضية الاتحاد، عليكم أن تدعوا إلى الاتحاد. ولا نستطيع القول طبعاً: إنّ الاتحاد سيتحقق في الحال؛ إذ إنّ هناك بطبيعة الحال بوناً شاسعاً يفصل الكلام والمعتقد عن العمل. ولكن توجد اليوم دعوات للفرقة والتشرذم، وقد لاحظتم الأمثلة على ذلك، وهذا هو ما يجب مجابهته والتصدّي له. ينبغي إشاعة الوعي بوجوب الوحدة بين

١ـ الحج: ٣٠.

المسلمين لمئة سبب وسبب، وأن مثل هذه الوحدة ممكنة لمئة سبب وسبب. يجب التأكيد على هذه القضية على لسان المبلّغين والخطباء وحتى الحجاج العاديين الذين قد يجدون لهم صديقاً من بلد آخر ويتحدثون معه.

● الحقيقة هي أن الحج فريضة استثنائية عجيبة وزاخرة بالأسرار والخفايا، وبالرغم من كثرة ما قيل في الحج، وفصاحة وروعة ما تحدث وأدلى به جميع مَن تحدثوا، غير أنّ قضية الحج أكثر عمقاً مما فهمناه حتى يومنا هذا، فالحج عبادة خالصة وعميقة من الخضوع والخشوع والذكر والتعبد والتضرع والتوسل ذات طابع جماعي. وإنّ جمع هذين البعدين مع بعضهما يجعل القضية غزيرة في معانيها، فبالرغم من وجود عبادات جماعية في الإسلام من قبيل صلاة الجماعة وصلاة الجمعة وصلاة العيد بيْدَ أنّ هذا الاجتماع العظيم والتمحور حول الذكر والتوحيد واستقطاب المسلمين من أصقاع العالم الإسلامي نحو بقعة واحدة لهو أمر غنّي في معناه.

إنّ تكليف المسلمين بالاجتماع في بقعة واحدة على اختلاف لهجاتهم وأعراقهم وعاداتهم وتقاليدهم وأذواقهم ومذاهبهم وأدائهم معاً لأعمال خاصة ـ وهي أعمال عبادة وتضرع وذكر وتوجه ـ أمر زاخر بالمعاني، ما يتضح منه أنّ اتحاد القلوب والأرواح لا يقتصر في نظر

الإسلام والتصور الإسلامي على ميدان السياسة فقط، بل إنّ التوجه إلى بيت الله الحرام واصطفاف القلوب بعضها مع البعض والتحام الأبدان والأرواح له أهميته أيضاً، لذلك فإنكم تلاحظون قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[1] فمجرد الاعتصام بحبل الله لا جدوى منه، وإنما "جميعاً" هي المهمة، فاعتصموا بحبل الله وتمسكوا بعروة التعليم والتربية والهداية الإلهية التي تفيض اطمئناناً.

المهم هو التآلف، تآلف القلوب والأرواح والعقول واجتماع الأبدان، وأنّ ما تؤدون من طواف ـ هذه الحركة الدائرية حول مركز واحد ـ أنما هو صورة لحركة المسلمين حول محور التوحيد، فيجب أن تتمحور كافة أعمالنا وخطواتنا وهممنا حول محور الوحدانية الإلهية والتوجه نحو الذات الإلهية المقدسة، وهذا درس على صلة بحياتنا بأسرها.

● أسرار الحج ورموزه أكثر من أن يحتويها مقال، غير أنّ بينها ثلاث خصائص بارزة تستطيع كل عين مستقصية أن تتعرفها في أول نظرة:

١ـ آل عمران: ١٠٣.

الأولى: إنّ الحج هو الفريضة الوحيدة التي دعا رب العالمين إلى أدائها جميع أفراد المسلمين ـ من استطاع إليه سبيلاً ـ من جميع أرجاء العالم، ومن خلوة البيوت ومحال العبادة، صوب نقطة واحدة، وفي أيامٍ معلومات، ليربط بينهم في ألوان من السعي والحركة والسكون والقيام والقعود:

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

الثانية: إنّ الهدف الأسمى في هذا العمل الجماعي والعلني هو ذكر الله، أي العمل القلبي والنفسي..

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[٢].

الثالثة: إنّ الحج يعرض على شاشته المضيئة البينة تصويراً كاملاً لحياة الإنسان الموحّد. وبعملٍ رمزي، يُلقّن المسلمين درس الحياة المتحركة الهادفة.

منذ ورود الميقات وحضور ساحة الإحرام والتلبية والترك حتى

١ـ البقرة: ١٩٩.

٢ـ الحج: ٢٨.

الطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف في محشر عرفات والمشعر وما فيه من ذكر وتضرع وتعارف، وحتى وصول منى وأضحيتها ورمي جمارها وحلقها، ثم العودة إلى الطواف والسعي... يتلقى المسلم فيها جميعا دروساً واضحة بينة في الحركة الهادفة والجماعية والعارفة في ساحة التوحيد وعلى درب الحياة وحول محور «الله» سبحانه.

الحياة في منهج الحج سير دائم، بل صيرورة مستمرة نحو الله والحج هو الدرس العملي الحيّ البنّاء الذي إن وعيناه يرسم لنا طريق حياتنا في صورة عملية مشرقة.

ميعاد جماعي ينعقد كل عام؛ كي يتعلم المسلمون في ذلك الجو المفعم بالوحدة والتفاهم، وفي ظلال الذكر الإلهي، درب الحياة واتجاهها، ثم يعودون إلى أصقاعهم وأهلهم. وفي الأعوام التالية تَقدُم مجموعات أخرى وتعود، وتتعلم وتتزود، وتتكلم وتعمل، وتسمع وتتدبر، لتصل الأمة جميعاً في النهاية إلى ما أراده الله وعلمَّه الدين... .

تطلع الفرد المسلم إلى ساحة حياة الأمة الإسلامية بكل ما فيها من عظمة تطلعاً يتسامى على القوميات والعنصريات والقبليات والإقليميات وتطلعه إلى أعماق وجوده، وتلقنه طريق الحياة واتجاهها وأسلوبها على نحو يليق بكرامته، كل ذلك يفعله في ظل ذكر الله.

وهذا هو ينبوع المعرفة الذي يغدق كل عام في موسم الحج بعطائه الفياض الأبدي على الجموع البشرية المحتشدة في حرم الأمن الإلهي وكل من فتح وعاء ذهنه وقلبه فهو من زلال المعرفة هذا في ارتواء.

ربيع الحياة التوحيدية:

● مثلما يحلّ ربيع الطبيعة في ميعاده السنوي، وهو طافح بالنشاط والحيوية، يعود في موعده الإلهي المقرّر من كل عام موسم الحج.. ربيع الأرواح والقلوب، فصل اخضرار الحياة التوحيدية في قلب كل مسلم أدرك الميقات، يعود مثل ينبوع رقراق مبارك ينثر نفح رقراقه على جميع أرجاء العالم الإسلامي، وليطهّر أولئك الذين وردوا هذا الينبوع المبارك من أدران الذنوب والشرك والمادية والنزعات الهابطة وكل السيّئات، ويزوّد من كان ذاكراً متيقّظاً بصلاح وفلاح يبارك العمر كله.

منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ارتفع نداء إبراهيم الخليل على لسان محمد المصطفى ﷺ داعياً ضيوف الرحمن لأن يفدوا كل عام في هذا الموسم على منطلق المعنوية والوحدة، وليطوفوا حول مركز التوحيد انسياقاً مع مسيرة العروج الأبدية، وليصلّوا خلف مقام إبراهيم واتجاه الكعبة المحمدية، وليسعوا بين الصفا والمروة مجسّدين سعي المؤمن الأبدي من منطلق الصفاء، وليعرفوا في عرفات صِغَرهم أمام عظمة العزيز الحق سبحانه وتعالى، وليستشعروا في المشعر الحرام الاستئناس بربّ

العالمين وحبّه، وليدركوا في ظلمة ليلة الوقوف ذلك النور الأبدي؛ لتبدّد به ظلمات وجودهم، وليرموا في منى الشيطان الأكبر والشياطين الآخرين، وليقدّموا قرباناً يرمز إلى ذبح الأهواء والميول المنحرفة.. كل ذلك يفعلونه في حالة الإحرام الذي يرمز إلى حريم قلب الحاج وروحه أمام الشجرة المحظورة في هذه الجنة.. يفعلونه إلى جانب سائر المسلمين على اختلاف أصقاعهم وأجناسهم وألسنتهم وثقافاتهم، وعلى اختلاف رتبهم المادّية أو المعنوية، ثم يحلقون ويُقصّرون رمزاً لإزالة كل الأدران والقذارات التي تترسّب على القلوب والأرواح جرّاء تلوّث أجواء الحياة المادّية، ويعودون ثانية إلى بيت الله الحرام بروح متفتّحة خفّت بعد أن أزالت عن كاهلها عبء الذنوب، وأشرق فيها نور معرفة الله ومحبّة رب العالمين.. فيطوفون ويصلّون ويسعون.. ولكنّهم يفعلون ذلك هذه المرة بآفاق أسمى ممّا قبل ثم يستعدّون للعودة إلى ديارهم بمخزون روحي طافح بالتوحيد والمعنوية والصفاء، وبعزم راسخ على مقارعة الشياطين، وقدرة فائقة على ضبط نزوات النفس، لينشروا شذى الحج الفوّاح في أصقاع المعمورة.

جوهر الحج:

● الحج في جوهره وذاته ينطوي على عنصرين: التقرّب إلى الله في الفكر والعمل، واجتناب الطاغوت والشيطان بالجسم والروح.. كل أعمال

الحج وتروكه من أجل تحقيق هذين العنصرين، وفي اتجاههما، ولتأمين ما يحتاجان إليه من أدوات ومقدّمات. ثمّ إنّ هذين العنصرين هما في الحقيقة أيضاً عصارة الإسلام وكل الدعوات الإلهيّة. قال سبحانه في الذكر الحكيم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

والعبارا ت التي نراها في آيات الحج مثل قوله سبحانه: ﴿حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾[2]، أو ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾[3]، أو ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾[4] كلّها تتجه نحو هذين العنصرين الأساسيين.

التقرّب إلى الله سبحانه يتطلّب ذكراً وصلاة وتسليماً وإحراماً وتفكيراً بالنفس وبالله، وسعياً وصفاء، لينجم عن ذلك كلّه تزويد الحاج بزاد التقوى ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي

١ـ النحل: ٣٦.

٢ـ الحج: ٣١.

٣ـ الحج: ٣٤.

٤ـ البقرة: ٢٠٠.

الأَلْبَابِ﴾[1]، واجتناب الشيطان الطاغوت يستلزم تطهير القلب من الشهوات والأهواء المذلّة والاستعانة بقوّة الصبر والإرادة والاستمداد ممّا في الأمّة الإسلاميّة من قوّة عظيمة، ويتحصّل ذلك من الحركة الجماعيّة ومن انسجام الخطى والقلوب والألسن في الطواف والسعي والوقوف في عرفات والمشعر والمبيت في مني، واستهداف الشيطان بالجمرات بشكل جماعي برميه من كل حدب وصوب وإعلان البراءة العامة منه.. ويؤدي في النهاية إلى تشابك أيدي المسلمين وقلوبهم وعزمهم من كل أجزاء الأمّة الإسلامية وإلى الإحساس بالقدرة والأمن في ظلّ الوحدة ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾[2].

● أيّها الأعزّاء! اعرفوا الحجّ بهذين الخصوصيتين، ولا سيما خصوصيّة تأثيره الشخصي والمعنوي وإيجاده الانقلاب في نفوس الأشخاص الّذين يُحرمون من هنا ويذهبون إلى ذلك المكان المقدّس؛ لأنّ القلوب لو كانت خاشعة وذاكرة فإنّها تحرم من بيوتها، وفي الواقع أنّ القلوب الخاشعة تكون محرّمة قبل الميقات.

فلتصبح آلاف القلوب ـ المتّجهة إلى بيت الله، إلى لقاء الله، إلى

١ـ البقرة: ١٩٧.

٢ـ البقرة: ١٢٥.

الميعاد والميقات الإلهي ـ قلوباً إلهيّة ومعنويّة وقرآنيّة، ومن ثمّ تعود إلى أوطانها.

ثانيهما: هي المعنى والمفهوم الجماعي والإسلامي والأممي للحج: والّذي يرتبط بالأمّة الإسلاميّة جمعاء، وهو عبارة عن إثبات عزّة التوحيد ورفض الشرك والبراءة من المشركين والداعين إلى الشرك والمخالفين للتوحيد بأيّة صورة ممكنة وبأيّ شكل كان.

● إن الخطوة الأولى التي لابد منها تتمثل في تكوين الذات. فكل ما في الحج من إحرام وطواف وصلاة ووقوف في المشعر وعرفات ومنى بما فيها من ذبح ورمي وحلق، ليس إلاّ تجسيداً لخشوع الإنسان وخضوعه أمام الله سبحانه وفي رحاب ذكره والتضرع إليه والتقرب منه. فلا ينبغي المرور بهذه المناسك المفعمة بالمعاني العميقة بإهمال وغفلة. على زائر رحاب الحج أن يعتبر نفسه في محضر الحق سبحانه وتعالى خلال جميع هذه المناسك. وأن يشعر ـ وهو في زحام الحشود الغفيرة ـ بأنه ملاق الحبيب وحيداً، ليناجيه ويسأله حاجاته ويشد قلبه به، ويبعد من قلبه الشيطان والهوى، ويزيل من وجوده صدأ الجشع والحسد والجبن والشهوات، شاكراً ربه على هدايته ونعمته، مروّضاً قلبه على المجاهدة في سبيل الله، مالئاً إياه بمحبة المؤمنين والبراءة من أعداء الحق المعاندين، عاقداً عزمه على إصلاح نفسه وإصلاح العالم المحيط به

معاهداً ربه على إعمار دنياه وأنّ الحج يمثل حركة جماعية في الوقت نفسه. وأنّ الدعوة الإلهية إلى الحج هي من أجل أن يجد المؤمنون أنفسهم مجتمعين مع البعض، ليشاهدوا بأم أعينهم تجسيداً حياً لوحدة المسلمين.

إنّ الحج يهدف إلى التقرب إلى الله والبراءة من شياطين الإنس والجن بشكل مجموعي، وهو عملية تدريبية لتحقيق الوحدة والتلاحم بين الأمة الإسلامية.

التدبر في الحج:

● أوصي بتواضع كل الإخوة والأخوات من المسلمين المتجمّعين في محشر الحج العظيم أن يتدبّروا في الحج وأن يتجهّزوا بالعطاءين الأساسيين أعني: تسليم القلب إلى الله والتقرب منه سبحانه وتعالى في الفكر والعمل بعبودية خالصة حقيقية من جهة، واجتناب الشياطين وأعداء سبيل الله والحذر منهم من جهة أخرى؛ ليعودوا إلى ديارهم بروح مزودة بالتقوى وبقلب مفعم بالاعتماد على الله، وبروح طافحة بالأمل في مستقبل الأمة الإسلامية، وبعزم راسخ على تحقيق أهداف الإسلام وعلى تحكيم مفاهيم الإسلام وقوانينه وثقافته في الحياة الإسلامية.

نبع الحج الفياض:

● وبالرغم من أنّ قوام كلّ فريضة وكلّ عبادة قائم على التوجُّه وذكر الباري سبحانه وتعالى؛ إلاّ أنّ الحج يبدو أنّه فرض بصورة، بحيث يجذب الناس من الحيّز المادّي للحياة نحو مركز إقامة هذه الفريضة الإلهيّة. فالجو هناك ليس جوّاً مادّياً، بل جوٌّ معنويٌّ كاملاً؛ لكي يقوم الإنسان بغسل روحه بشكل حقيقي في هذا الجوّ المعنوي، ومن ثمّ يعود إلى وطنه.

والمفترض أنّ هذا الاغتسال المعنوي يكفي الإنسان لو قام به مرّة واحدة في حياته، لأنّ هذه الفريضة فُرضت على الإنسان مرّة واحدة في العمر. فتشريع الواجبات يتمّ على أساس حاجات الإنسان، ولو أنّنا كنّا نحتاج في عملية السير التكاملي نحو الله وفي الكمال والعروج إليه سبحانه وتعالى إلى أكثر من سبع عشرة ركعة في اليوم؛ لفرض الله علينا أكثر من سبع عشرة ركعة في اليوم.

إذن، فالحدّ الأدنى من الواجب هو الشيء الّذي فُرض علينا بصورة الحكم الواجب. فلا يُتصوّر أنّ «من استطاع» تقيّد من دائرة الواجب، بل على العكس من ذلك فهي توسّع من دائرة الواجب، فكلّ من يستطيع يجب عليه القيام بأداء هذه الفريضة مرّة واحدةً في حياته ـ من دون أيّ

استثناء ـ والّذي لا يستطيع لا تكليف عليه في هذا المجال.

إذن، يكفي الدخول مرّة واحدة في ذلك المحيط المعنوي والنبع الفيّاض بالمعنويّة من أجل التطهير ومن أجل غسل الروح غسلاً معنويّاً. طبعاً لو أمكن تكراره أكثر من مرّة فذاك الأفضل؛ لكي يتمكّن الإنسان من غسل روحه أكثر فأكثر، إلاّ أنّ الحدّ الأدنى هو تلك المرّة الواحدة. فلاحظوا ما هي القوّة الّتي من المفروض أن يمتلكها الجانب المعنوي للحج.

هذه نوافذ يجب علينا من خلالها فهم ومعرفة هذه الفريضة بشكل صحيح. وعلى هذا فلو رأينا الحجّ ابتعد عن المعنويّة وطغى عليه الجانب المادي والتظاهر الدنيوي، أو لاحظنا أنّ السلوك والتصرّفات الّتي نمارسها أو الّتي تُفرض علينا في الحج هي تصرّفات مخالفة لروح الحج، عندئذ يجب أن نعلم بأنّنا قد ابتعدنا عن فلسفة الحج.

وهؤلاء الّذين يصرفون القسم الأكبر من أيّام الحج في أعمال مخالفة للاتّجاه المعنوي يجب عليهم أن يعلموا بأنّهم قد أغرقوا أنفسهم في الماديّات، وابتعدوا عن الله عزّ وجلّ. وفي الحقيقة فإنّ هؤلاء يقلّلون ـ دون أن يشعروا ـ من أهمّية وشأن هذه الهديّة الّتي منحها لهم الباري عزّ وجل في الحج، وقد يتصوّرون أنهم حصلوا على شيء إلاّ أنّهم ـ في الحقيقة ـ فقدوا شيئاً ثميناً، وبغَرَقهم في الماديات ينقصون من هذه

الهديّة المعنويّة.

فالحجّ يبدأ بـ«لبّيك» أي بالاستجابة للّه سبحانه وتعالى، وحالة الإحرام ولباس الإحرام، ومحرّمات الإحرام، والأعمال الّتي يجب القيام بها في أيّام الحجّ أو العمرة من طواف وسعي، وصلاة، ووقوفين والمناسك الأخرى للحج كلّ واحدة منها تجذب جزءاً من وجودنا ـ بنحو من الأنحاء ـ نحو المعنويّة ونحو الباري تبارك وتعالى.

وهذه المجموعة المركّبة من الأعمال هي ـ في الحقيقة ـ نبع صاف يجب علينا الدخول فيه وغسل نفوسنا بداخله. فانتبهوا كي لا يفقد الحج هذه الخاصّية المهمّة من خصائصه.

البيت الحرام:

● تمركز الحجيج في موسم الحج عند نقطة واحدة، وخاصة لدى الوقوف في عرفات والمشعر والمبيت في منى يوفر بأجمعه أرضية هذه المعرفة البناءة المعطاءة.

معرفة عظمة الله ورحمته في الحج تعني التأمل في رفع قواعد هذا البيت الذي هو بيت الله، وهو في الوقت نفسه بيت الناس أيضاً ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

١ـ آل عمران: ٩٦.

إنه البقعة التي يتجه إليها الإنسان الخاشع المتبتل، وإنه أيضاً محل تجلي عظمة الدين الإلهي.. خليط من العظمة والصفاء والبساطة، ذكرى أول نداء للتوحيد ومحط لتحقق وحدة الكلمة، يحمل آثار أقدام المجاهدين في صدر الإسلام الذين جاهدوا فيه وهم غرباء، وهاجروا منه وهم مظلومون وعادوا إليه وهم فاتحون أعزاء وطهروه من رجس جاهلية العرب، ثم هو المعطر بشذى المتهجدين ومحل سجود العابدين، ومهوى قلوب الشاكرين، إنه مطلع فجر الإسلام في البلاد، ومشرق طلوع المهدي الموعود في الخاتمة، هو ملجأ القلوب المضطربة ومحط آمال النفوس.

توصيات إلى الإخوة والأخوات:

● وإذ وفّق الله سبحانه جمعاً من السعداء الذين توافدوا من كلّ فجّ عميق لينالوا حظّهم من الأيام المعلومات وحجّ بيت الله الحرام فإنّي أتضرّع وأبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يكون حجّهم مقبولاً مأجوراً وأن ينعم بمنافعه على كلّ الأمّة المسلمة. وأتقدّم هنا بتوصيات إلى الإخوة والأخوات بما يلي:

١ ـ اغتنموا هذه الفرصة لبناء النفس والإنابة والتضرّع، وخذوا منها زادكم المعنوي لجميع عمركم.

٢ ـ اسألوا الله سبحانه أن يفرّج عن المسلمين مشاكلهم الكبرى

وكرّروا هذا الطلب مرات ومرات في أدعيتكم ومناجاتكم.

٣ ـ اغتنموا كلّ فرصة للتعرّف على المسلمين الوافدين من جميع أرجاء العالم، واستفيدوا مما في مجريات حياتهم من جوانب سلبية أو إيجابية. وعلى المسلمين غير الإيرانيين خاصة أن يسمعوا حقائق وقضايا إيران الإسلام من لسان إخوتهم الإيرانيين، ليميّزوا الصحيح عن غير الصحيح مما سمعوه بشأنهم من الإعلام العالمي.

وليسعوا اليوم ودائماً أن يستوعبوا تعاليم الإمام الراحل العظيم الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) بشأن ما يرتبط بقضايا المسلمين، وأن يتعرّفوا عن قرب وبشكل أفضل على هذا المصلح الكبير في تاريخ الإسلام.

٤ ـ انقلوا كلّ معلوماتكم الصحيحة عن وضع الأُمة الإسلامية أو عن بلدكم إلى المسلمين القادمين من البلدان الأُخرى.

٥ ـ في حديثكم مع إخوتكم المسلمين من أي صقع كانوا ركّزوا على قضية (الأمة الإسلامية) والنظرة الشمولية التوحيدية للعالم الإسلامي، ولتتجاوز أفكاركم وأفكار من تحاورونه إطار الحدود الجغرافية والعنصرية والعقائدية والحزبية وأمثالها، وارتفعوا إلى مستوى هموم الإسلام والمسلمين.

٦ ـ ذكّروا مخاطبيكم دائماً بما أنعم الله به على المسلمين من نفوس تزيد على المليار، وبلدان تبلغ العشرات، ومن ثروات مادّية ومعنوية

ضخمة، وتراث ثقافي وحضاري وديني وأخلاقي عظيم.

٧ ـ حطِّموا أسطورة قدرة الغرب التي لا تقهر! وخاصة أمريكا. هذه الأسطورة التي يحاول الاستكبار العالمي دائماً أن يلقيها في أذهان المسلمين عن طريق تهويل قوته. وذكّروا أنفسكم وذكّروا المسلمين الآخرين أنّ قوة المعسكر الشيوعي كانت تبدو أنّها لا تقهر قد تحطمت منذ قريب أمام أعين هذا الجيل، وأصبحت أثراً بعد عين.. القوى المتعملقة الحالية ومنها قوة أمريكا هي الأخرى من الممكن أن تنهار بنفس السهولة وينقطع أثرها.

٨ ـ ذكّروا علماء الدين والمثقّفين في البلدان المسلمة بمسؤوليتهم الكبرى الثقيلة دائماً، وذكّروا الآخرين أيضاً بذلك.

٩ ـ انطلاقاً من واجب النصيحة لأئمة المسلمين، ذكّروا زعماء البلدان الإسلامية بمسؤولياتهم تجاه الأمة المسلمة وتجاه إقامة وحدة المسلمين والابتعاد عن القوى الاستكبارية، ذكّروهم بضرورة التوجّه إلى شعوبهم والاعتماد عليها وإقامة العلاقة الحسنة بين الشعوب والحكام. واطلبوا من الله سبحانه إصلاح أُمورهم.

١٠ ـ كونوا متفهّمين دائماً أنّ مسؤولية الزعماء لا تعني رفع المسؤولية عن كلّ فرد من أفراد الشعوب المسلمة، فكلّ أبناء الأُمة يستطيعون أن يكون لهم دور فاعل في كلّ هذه الأهداف الكبرى.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



الفصل الثالث

جامع السعادات

"الشيخ النراقي"





ما ينبغي في الحاج:

ينبغي للحاج، عند توجهه إلى الحج، مراعاة أمور:

الأول ـ أن يجرد نيته لله، بحيث لا يشوبها شيء من الأغراض الدنيوية، ولا يكون باعثه على التوجه إلى الحج إلاّ امتثال أمر الله، ونيل ثوابه، والاستخلاص من عذابه، فليحذر كل الحذر أن يكون له باعث آخر، مكنون في بعض زوايا قلبه، كالرياء والحذر عن ذم الناس وتفسيقهم لو لا يحج، أو الخوف من الفقر وتلف أمواله لو ترك الحج؛ لما اشتهر من أن (تارك الحج يبتلى بالفقر والإدبار)، أو قصد التجارة أو شغل آخر، فإنّ كل ذلك يخرج العمل من الإخلاص، ويحجبه عن الفائدة وترتب الثواب الموعود، وما أجهل من تحمل الأعمال الشاقة التي يمكن أن تحصل بها سعادة الأبد، لأجل خيالات فاسدة لا يترتب عليها سوى الخسران، فيجتهد كل الجهد أن يجعل عزمه خالصاً لوجه الله، بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة، ويتيقن أنه لا يقبل من قصده وعمله إلاّ الخالص، وإنّ من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره، فليصحح في نفسه العزم، وتصحيحه بإخلاصه

باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة.

الثاني ـ أن يتوب إلى الله تعالى توبة خالصة، ويرد المظالم، ويقطع علاقة قلبه عن الالتفات إلى ما وراءه، ليكون متوجهاً إلى الله بوجه قلبه ويقدّر أنه لا يعود، وليكتب وصيته لأهله وأولاده، ويتهيأ لسفر الآخرة فإنّ ذلك بين يديه على قرب، وما تقدمه من هذا السفر تهيئة لأسباب ذلك السفر، فهو المستقر وإليه المصير. فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك عند الاستعداد لهذا، فليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة.

الثالث ـ أن يعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت، ويعلم أنه ترك الأهل والأوطان، وفارق الأحبة والبلدان، للعزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره: أعني زيارة بيت الله الذي جعل مثابة للناس، فسفر هذا لا يضاهي أسفار الدنيا. فليحضر في قلبه ماذا يريد، وأين يتوجه، وزيارة من يقصد، وأنه متوجه إلى زيارة ملك الملوك في زمرة الزائرين إليه، الذين نودوا فأجابوا، وشوقوا فاشتاقوا، ودعوا فقطعوا العلائق، وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله الرفيع قدره، والعظيم شأنه، تسلياً بلقاء البيت عن لقاء صاحبه، إلى أن يرزقوا منتهى مناهم، ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم فليحضر في قلبه عظم السفر، وعظمة البيت، وجلالة رب البيت، ويخرج

معظماً لهما، ناوياً إن لم يصل وأدركته المنية في الطريق لقي الله وافداً إليه بمقتضى وعده.

الرابع - أن يخلي نفسه عن كل ما يشغل القلب، ويفرق الهمّ في الطريق، أو المقصود، من معاملة أو مثلها، حتى يكون الهمّ مجرداً لله والقلب مطمئناً منصرفاً إلى ذكر الله وتعظيم شعائره، متذكراً عند كل حركة وسكون أمراً أُخروياً يناسبه.

الخامس - أن يكون زاده حلالاً، ويوسّع فيه ويطيّبه، ولا يغتم ببذله وإنفاقه، بل كان طيب النفس به، إذ إنفاق المال في طريق الحج نفقة في سبيل الله، والدرهم منه بسبعمئة درهم، قال رسول الله ﷺ: "من شرف الرجل أن يطيب زاده إذا خرج في سفر"[1]. وكان السجاد عليه السلام إذا سافر إلى الحج[2]، يتزود من أطيب الزاد، من اللوز والسكر والسويق المحمض والمحلى[3]. وقال الصادق عليه السلام: "إذا سافرتم، فاتخذوا سفرة وتنوقوا فيها"[4]. وفي رواية: "انه يكره ذلك في زيارة الحسين عليه السلام"[5]. نعم ينبغي

١ـ وسائل الشيعة ١١: ٤٢٣، أبواب آداب السفر، ب ٤٢، ح ١.

٢ـ في الرواية "أو العمرة".

٣ـ وسائل الشيعة ١١: ٤٢٣، أبواب آداب السفر، ب ٤٢، ح ٢.

٤ـ وسائل الشيعة ١١: ٤٢١، أبواب آداب السفر، ب ٤٠، ح ٢.

٥ـ وسائل الشيعة ١١: ٤٢٢، أبواب آداب السفر، ب ٤١.

أن يكون الإنفاق على الاقتصاد من دون تقتير ولا إسراف، والمراد بالإسراف التنعم بأطائب الأطعمة، والترفه بصرف أنواعها على ما هو عادة المترفين، وأما كثرة البذل على المستحقين، فلا إسراف فيه، إذ لا خير في السرف، ولا سرف في الخير.

وينبغي ـ أيضاً ـ أن يكون له طيب النفس فيما أصابه من خسران ومصيبة في مال وبدن، لأنّ ذلك من دلائل قبول حجه، فإنّ ذهاب المال في طريق الحج يعدّ الدرهم منه بسبعمئة في سبيل الله، فالمصيبة في طريق الحج بمثابة الشدائد في طريق الجهاد، فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب، فلا يضيع منه شيء عند الله.

السادس ـ أن يحسن خلقه، ويطيب كلامه، ويكثر تواضعه، ويجتنب سوء الخلق والغلظة في الكلام، والرفث والفسوق والجدال. والرفث اسم جامع لكل فحش ولغو وخنى. والفسوق أسم جامع لكل خروج عن طاعة الله. والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق الهم، ويناقض حسن الخلق.

قال رسول الله ﷺ: "الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة"، فقيل: يا رسول الله، ما برّ الحج؟ قال: "طيب الكلام وإطعام الطعام"[1]. فلا ينبغي

١ـ مستدرك وسائل الشيعة ٨: ٦٢، أبواب وجوب الحج وشرائطه، ب ٤٠، ح ١٠.

أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله، وعلى غيرهما من أصحابه بل يلين جانبه، ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله، ويلزم حسن الخلق، وليس حسن الخلق مجرد كف الأذى، بل احتمال الأذى، وقيل: سمي السفر سفراً، لأنه يسفر عن أخلاق الرجال.

السابع ـ أن يكون أشعث أغبر، غير متزين ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في المتكبرين، ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين، ويمشي إن قدر، خصوصاً بين المشاعر. وفي الخبر: "ما عُبِد الله بشيء أفضل من المشي"[١]. وينبغي ألا يكون الباعث للمشي تقليل النفقة، بل التعب والرياضة في سبيل الله، ولو كان القصد تقليل النفقة مع اليسار فالركوب أفضل. وكذا الركوب أفضل لمن ضعف بالمشي، وساء خلقه، وقصّر في العمل، ففي الخبر: "تركبون أحبّ إليّ، فإن ذلك أقوى على الدعاء والعبادة"[٢]. وكان الحسن بن علي عليهما السلام يمشي وتساق معه المحامل والرحال[٣]. وإذا حضرت الراحلة ليركبها، فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخيره له الدواب، لتتحمل عنه الأذى، وتخفف عنه المشقة.

١ـ وسائل الشيعة ٨: ٧٨، أبواب وجوب الحج وشرائطه، ب ٣٢، ح٢ و٤.

٢ـ وسائل الشيعة ١١: ٨٣، أبواب وجوب الحج وشرائطه، ب ٣٣، ح ٥.

٣ـ وسائل الشيعة ١١: ٨٥، أبواب وجوب الحج وشرائطه، ب ٣٣، ح ٩.

وينبغي أن يرفق بها، فلا يحملها ما لا تطيق.

الميقات:

إذا خرج عن وطنه، ودخل إلى البادية، متوجهاً إلى الميقات وشاهد العقبات، فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة، وما بينهما من الأهوال والمطالبات، وليتذكر من هول قطاع الطريق هول منكر ونكير، ومن سباع البوادي وحيّاتها وعقاربها حيات القبر وأفاعيها وعقاربها وديدانها، ومن إفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر ووحدته وكربته، وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر.

ما ينبغي في الميقات:

إذا دخل الميقات، ولبس ثوبي الإحرام، فليتذكر عند لبسهما لبس الكفن ولفّه فيه، وأنه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة، فكما لا يلقى بيت الله إلاّ بهيئة وزي يخالف عادته، فكذلك لا يلقى الله بعد الموت إلاّ في زي يخالف زي الدنيا، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس مخيطاً، كما أنّ الكفن أيضاً ليس مخيطاً، وإذا أحرم ولبّى فليعلم أنّ الإحرام والتلبية إجابة نداء الله، فليرج أن يكون مقبولاً، وليخش أن يكون مردوداً، فيقال: لا لبيك ولا سعديك! فليكن بين الخوف والرجاء

متردداً، وعن حوله وقوته متبرئاً، وعلى فضل الله وكرمه متكلاً. فإن وقت التلبية هو بداية الأمر، وهو محل الخطر. وقد روي: "أنّ علي بن الحسين عليه السلام لما أحرم، واستوت به راحلته، اصفر لونه وانتفض، ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبّي. فقيل له: لِمَ لا تلبّي؟ فقال: أخشى أن يقول ربي" لا لبيك ولا سعديك! "فلما لبّى غشي عليه وسقط من راحلته. فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه"[1]. فليتذكر الملبي عند رفع الأصوات في الميقات خائفاً راجياً، أنه إجابة لنداء الله تعالى، إذ قال تعالى: "وأذِّن في النّاس بالحج يأتوك رجالاً"[2]. ويتذكر من هذا النداء الخلق بنفخ الصور، وحشرهم من القبور، وازدحامهم في عرصات القيامة لنداء الله، منقسمين إلى مقربين ومبعدين، ومقبولين ومردودين ومردودين في أول الأمر بين الخوف والرجاء، مثل تردد الحاج في الميقات، حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا.

ما ينبغي عند دخول مكة:

ينبغي أن يتذكر عند دخول مكة أنه قد انتهى إلى حرم من دخله كان آمناً، ويرجو عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله، وليضطرب قلبه

١ـ عوالي اللئالي ٤: ٣٥، ح ١٢١.

٢ـ الحج: ٢٧.

من ألا يكون أهلاً للقرب والقبول، فيكون بدخول الحرم خائباً مستحقاً للمقت، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً، إذ شرف البيت عظيم ورب البيت كريم، والرحمة واسعة، والفيوضات نازلة، وحق الزائر منظور، واللائذ المستجير غير مردود.

وإذا وقع البصر على البيت، فليحضر في قلبه عظمته، ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه، وليرج أن يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء بيته، وليشكر الله على تبليغه إياه إلى بيته، وإلحاقه إياه بزمرة الوافدين إليه، ويتذكر عند ذلك ايصاب الخلائق إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة، ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين عنها، انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين.

ما ينبغي عند الطواف:

وينبغي عند الطواف أن يمتلئ قلبه من التعظيم والمحبة والخوف والرجاء، ويعلم أنه في الطواف متشبّه بالملائكة المقربين الطائفين حول العرش، وليعلم أن المقصود طواف قلبه بذكر رب البيت، دون مجرد طواف جسمه بالبيت، فليبتدئ الذكر به ويختم به، كما يبتدأ الطواف من البيت ويختم بالبيت، فروح الطواف وحقيقته هو طواف القلب بحضرة الربوبية، والبيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي لا تشاهد

بالبصر، وهو عالم الغيب وعالم الملك والشهادة، مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب. وما ورد من أنّ البيت المعمور في السماوات بإزاء الكعبة، وأنّ طواف الملائكة بها كطواف الإنس بهذا البيت، ربما كان إشارة إلى ما ذكرناه من المماثلة، ولما قصرت رتبة الأكثرين عن مثل ذلك الطواف، أمروا بالتشبه بهم بقدر الإمكان ووعدوا بأنّ من تشبه بقوم فهو منهم.

ما ينبغي عند استلام الحجر:

ينبغي أن يتذكر عند استلام الحجر الأسود، أنه بمنزلة يمين الله في أرضه، وفيه مواثيق العباد. قال رسول الله ﷺ "استلموا الركن، فإنه يمين الله في خلقه، يصافح بها خلقه مصافحة العبد أو الدخيل، ويشهد لمن استلمه بالموافاة"[1]، ومراده ﷺ بالركن: الحجر الأسود؛ لأنه موضوع فيه، وإنما شبه باليمين؛ لأنه واسطة بين الله وبين عباده في النيل والوصول والتحبب والرضا، كاليمين حين التصافح.

وقال الصادق عليه السلام: "إنّ الله تبارك وتعالى لما أخذ مواثيق العباد، أمر الحجر فألقمها"[2]، فلذلك يقال: أمانتي أديتها، وميثاقي عاهدته، لتشهد لي

١ـ وسائل الشيعة ١٣: ٣٢٤، أبواب الطواف، ب ١٥، ح ٣.

٢ـ في رواية (التقمها).

بالموافاة"[١].

وقال عليه السلام: "الركن اليماني باب من أبواب الجنة، لم يغلقه الله منذ فتحه".

وقال عليه السلام: "الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه الجنة، وفيه نهر من الجنة تلقى فيه أعمال العباد".

قيل: إنما شبه بباب الجنة؛ لأنّ استلامه وسيلة إلى وصولها، وبالنهر؛ لأنه تغسل به الذنوب. ثم لتكن النية في الاستلام والالتصاق بالمستجار بل المماسة لكل جزء من البيت، طلب القرب حباً وشوقاً للبيت ولربّ البيت، وتمسكاً وتبركاً بالمماسة، ورجاءً للتحصن عن النار في كل جزء لا في البيت، ولتكن نيته في التعلّق بأستار البيت الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان، كالمقصر المتعلق بثياب من قصر في حقه المتضرع إليه في عفوه عنه، المظهر له أنه لا ملجأ منه إلاّ إليه، ولا مفزع إلاّ عفوه وكرمه، وأنه لا يفارق ذيله حتى يعفو عنه، ويعطيه الأمان في المستقبل.

السعي:

السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت، يضاهي تردد العبد بفناء دار

١ـ وسائل الشيعة ١٣: ٣٢٢، أبواب الطواف، ب ١٣، ح ١٧.

الملك، جائياً وذاهباً مرة بعد أخرى، إظهاراً للخلوص في الخدمة، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة، كالذي دخل على الملك وخرج، وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو ردّ، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى، يرجو أن يرحمه في الثانية إن لم يرحمه في الأولى، وليتذكر عند تردده التردد بين الكفتين[١]، ناظراً إلى الرجحان والنقصان، مردداً بين العذاب والغفران.

ما ينبغي عند الوقوف بعرفات:

وأما الوقوف بعرفات، فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق، وارتفاع الأصوات، واختلاف اللغات، واتباع الفرق أئمتهم في التردد على المشاعر: عرصات يوم القيامة وأهوالها، وانتشار الخلائق فيها حيارى واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة، واقتفاء كل أمة نبيهم، وطمعهم في شفاعته لهم، وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الردّ والقبول. وإذا تذكر ذلك، فليتضرع إلى الله تعالى ويبتهل إليه، ليقبل حجه ويحشره في زمرة الفائزين المرحومين. وينبغي أن يحقق رجاءه، إذ اليوم شريف والموقف عظيم، والنفوس من أقطار الأرض فيه مجتمعة، والقلوب إلى الله سبحانه منقطعة، والهمم على الدعاء والسؤال متظاهرة، وبواطن العباد

١ـ المراد كفتي الميزان يوم القيامة.

على التضرع والابتهال متعارفة، وأيديهم إلى حضرة الربوبية مرتفعة وأبصارهم إلى باب فيضه شاخصة، وأعناقهم إلى عظيم لطفه وبره ممتدة، ولا يمكن أن يخلو الموقف عن الأخيار والصالحين، وأرباب القلوب والمتقين، بل الظاهر حضور طبقات الأبدال وأوتاد الأرض فيه فلا تستبعدوا أن تصل الرحمة من ذي الجلال بواسطة القلوب العزيزة والنفوس القادسة الشريفة إلى كافة الخليقة، ولا تظنن أنه يخيب آمال الجميع، ويضيع سعيهم، ولا يرحم غربتهم وانقطاعهم عن الأهل والأوطان، فإنّ بحر الرحمة أوسع من أن يظن به في مثل هذه الحالة ولذا ورد: أنه من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله لم يغفر له[1].

المشعر:

وإذا فاض من عرفات ودخل المشعر، فليتذكر عند دخوله فيه أنّ الله سبحانه قد أذن له في دخول حرمه بعد أن كان خارجاً عنه، إذ المشعر من جملة الحرم، وعرفات خارجة عنه، فليتفاءل من دخول الحرم، بعد خروجه عنه، بأنّ الله سبحانه قربه إليه وكساه خلع القبول، وأجاره وآمنه من العذاب والبعد، وجعله من أهل الجنة والقرب.

١ـ نحوه جاء في "من لا يحضره الفقيه" ٢: ٢١١، ح ٢١٨٣.

ما ينبغي عند الرمي والذبح:

وإذا ورد منى، وتوجه إلى رمي الجمار، فليقصد به الانقياد والامتثال، إظهاراً للرق والعبودية، وتشبيهاً بالخليل الجليل عليه السلام حيث عرض له إبليس اللعين في هذا الموضع ليفسد حجه، فأمره الله تعالى أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأصله. وينبغي أن يقصد أنه يرمي الحصا إلى وجه الشيطان ويقصم به ظهره، ويرغم به أنفه، إذ امتثال أمر الله تعالى تعظيماً له يقصم ظهر اللعين ويرغم أنفه.

وإذا ذبح الهدي، فليستحضر أنّ الذبح إشارة إلى أنه بسبب الحج قد غلب على الشيطان والنفس الإمارة وقتلهما، وبذلك استحق الرحمة والغفران، ولذا ورد: أنه يعتق بكل جزء من الهدي جزء من النار. فليجتهد في التوبة والرجوع عما كان عليه قبل ذلك من الأعمال القبيحة، حتى يصير حاله أحسن من سابقه، ليصدق عليه إذلاله الشطيان والنفس الأمارة في الجملة، ولا يكون في عمله من الكاذبين. ولذلك ورد: إنّ علامة قبول الحج: أن يصير حاله بعد الحج أحسن مما كان عليه قبله[1]. وفي الخبر: إن علامة قبول الحج ترك ما كان عليه من المعاصي، وأن يستبدل بإخوانه البطالين أخواناً صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة.

١ـ مستدرك وسائل الشيعة ١٠: ١٦٥، أبواب العود إلى منى، ب ١٧، ح ١.





الفصل الرابع

المراقبات في أعمال السنة

"الميرزا التبريزي"




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نعمة وضع البيت والزيارة:

ومن عظائم تلك النعم جعل الكعبة بيتاً لنفسه، وإذنه للناس أن يقصدوا زيارته، وقبوله منهم ذلك لزيادته في الأجر والقبول والرضا ولعمري إنّ هذا غاية اللطف والرفق والكرم، فإنّ البصير إذا تأمل في معاني نسك الحج، يهتدي بذلك إلى عظيم لطفه تعالى، بل ومحبته إلى عناية المؤمنين، وغاية عنايته في جذبهم إلى بابه، ودعوتهم، إلى قربه وجواره، وعرف قدر نعمة وجود هذا النبي الكريم الذي هدانا به إلى هذه العوالم العزيزة، وعرفنا أسرار هذه المقامات الشريفة الكريمة وأحيا هذه القلوب الميتة بروح الإيمان، وهدى عماها بنور الإيقان.

وإجمال هذا التفصيل أنه سبحانه وتعالى خلق بني آدم من التراب ودعاهم إلى لقائه وجواره، وقربه وجواره إنما هو أعلى عليين، ومقام الروحانيين، ومن أجل أنه لا يصل إلى هذه العوالم العالية في أوائل أمره من جهة توغله في ظلمات عوالم الطبيعة وإسارته في مهوى كرة الأرض بين الماء والطين، جعل لهم بلطفه من عالمهم [محلا و] عمراناً، وسمّاه بيتاً له، وجعله مطافاً لزوّاره ومريدي حضرته ليطوفوا حوله ويزوروه ويستأنسوا بربهم على حسب حالهم، ويستعدوا بذلك لما فوقه من عوالم

القدس، وربوة التقريب، وجعل لهذه الزيارة نسكاً كلها مثار للترقي من عالم الملك إلى عوالم الملكوت والجبروت واللاهوت.

وبعبارة أخرى هذه النسك معدّة للعامل بها إلى زيارة الكعبة الحقيقية التي ورد فيها أنه «لا يسعني أرضي وسمائي، بل يسعني قلب عبدي المؤمن»[١].

خرق الحجب الظلمانية والحجب النورانية:

وبعبارة أُخرى هي مورثة لمعرفة النفس التي فيها معرفة الرب كما أشير إليه في المناجات الشعبانية بقوله عليه السلام: «وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك». فإنّ الإنسان محتجب عن الوصول إلى معدن العظمة بحجب ظلمانية ونورانية.

[الحجب] الظلمانية عبارة عن عالم الطبيعة التي هي من عالم الحس والشهادة، بل وبعض عوالم المثال أيضاً يلحق بالحجب الظلمانية والحجب النورانية بعد الترقي عن عوالم الطبيعة بإلقاء المادة والصورة فحينئذ يرى نفسه مجردة عنهما، ويتجلّى له نفسه وحقيقته مجردة عن قشور المادة والصورة، ويرى نفسه أمراً عظيماً، ويبقى الحجب النورانية

١ـ عوالي اللئالي ٤: ٧، ح ٧.

وعند ذلك يفتح له باب المعارف الكشفية.

فكلما طالع الحجب، وتفكر في العوالم النورية، انكشف له العلم بالمبدأ والمعاد، وحقائق المقامات الدينية التي جمعها قوله تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[١] حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة، وعند ذلك يحصل له مقام القرب ويفوز بتجليات الأسماء والصفات، ويعدّ من زوّار الله وجيرانه، وبالجملة قد جعل الله بلطفه لأهل هذا العالم بيتاً من جنس عالمهم حتى لا يحرموا من فيض زيارته، وجعل لهذا البيت نسكاً مؤثرة في إعداد الزائر وتأهيله لزيارة بيته الحقيقي.

خلاصة رواية الشبلي:

ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما تبين لنا من أخبار آل محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أسرار نسك الحج الموصلة إلى الزيارة الحقيقية الباطنية فنقول:

الأولى أن نتبرك في ذلك أولاً بما روي عن الإمام سيد الساجدين عليه السلام من أسرار النسك، وفسّر في هذه الرواية المقصود الحقيقي من كل واحد من أعمال الحج برواية الشبلي وقال: لو لم تأتِ

١ـ البقرة: ٢٨٥.

هذه الأعمال بهذه القصود كأنك لم تأتِ بها أصلاً، وأوّل نزول الميقات بالانخلاع عن المعصية، ولبس ثوب الطاعة، ونزع الثياب، التجرد من الرياء والنفاق، والغسل بالتطهير من الخطايا والذنوب، التنظف بالنورة بالتوبة الخالصة لله.

والإحرام بتحريم كل ما حرّمه الله، والعقد على الحج بتحليل عقد غير الله، والدخول على الميقات بعد الإحرام بقصد زيارة الله، والصلاة عند ذلك بالتقرب إلى الله، والتلبية بالنطق لله تعالى لكل طاعة، والصون عن كل معصية، والدخول إلى الحرم بقصد تحريم كل غيبة لأهل ملة الإسلام، ورؤية البيت برؤية بيت الله، وقصد الله سبحانه، والقطع عن غير الله، والسعي إلى الهرب إلى الله تعالى، والاستلام بالحجر بالمصافحة لله.

والوقوف على مقام إبراهيم بالوقوف على كل طاعة، والتخلف عن كل معصية، والصلاة في المقام بقصد صلاة إبراهيم الخليل عليه السلام، ولعل فيه إشارة إلى الوصول بالخلة، والإشراف على زمزم والشرب منها على الإشراف بالطاعة والغض عن المعصية، والمشي بين الصفا والمروة بالكون بين الخوف والرجاء، والخروج إلى منى بتأمين الناس من اللسان والقلب واليد.

والوقوف على عرفة بمعرفة الله واطلاع الله على السرائر والقلب والطلوع إلى جبل الرحمة باعتقاد أنّ الله يرحم كل مؤمن ومؤمنة

والمشي إلى المزدلفة والتقاط الحصى برفع كل معصية وجهل، وإثبات كل علم وعمل، وإلى المشعر بتشعير القلب شعائر أهل التقوى والخوف والوصول في المنى ورمي الجمار بالبلوغ للمقصود وقضاء الحوائج وحلق الرأس بالتطهير من الأدناس والخروج من الذنوب وتبعات بني آدم، ومسجد الخيف بعدم الخوف إلاّ من الله وعدم الرجاء إلاّ منه والذبح بذبح الطمع والاقتداء بخليل الرحمن في ذبح ولده، والرجوع إلى مكة وطواف الإفاضة بالإفاضة برحمة الله والرجوع إلى طاعة الله والتقرب إلى الله تعالى.

المقصود الأصلي من جعل الحج:

أقول: ومن أجل أنّ المقصود الأصلي من جعل الحج وكذا سائر العبادات تقوية جانب الروحانية، حتى يكون الإنسان بشراً روحانياً ويترقى من عوالم الجسمانيين إلى عوالم الروحانيين، فيحصل له معرفة الله وحبّه وأنسه، ويجتمع مع أوليائه في دار كرامته، وحسن أُولئك رفيقاً.

ولأن كل إنسان ـ إلاّ ما شذّ وندر ـ قد كمل فيه الحيوانية قبل البلوغ لفقدان العقل والعلم والعمل، حتى قويت فيه الصفات الحيوانية من السبعية، والبهيمية والشيطانية، وضعفت فيه قوته العقلانية والروحانية وصار موجوداً بما هو حيوان، فكأنه في إهابه كلب وخنزير وشيطان

بالفعل، وإنسان ضعيف بالقوة.

اقتضى لطفه تعالى أن لا يتركهم على ما هم عليه، حتى يبعث الأنبياء، وشرع لهم الشرائع، والعبادات والنسك، حتى يردوهم عن جسمانيتهم إلى الروحانية، وعن عماهم إلى الهدى، وعن حيوانيتهم إلى الإنسانية، وعن ظلمتهم إلى النور، وعن بعدهم إلى القرب، وجعل لهم تكاليف وعبادات تنفع بعضها في دفع الظلمة ورفعها، وبعضها في جلب الأنوار وإثباتها.

وبعبارة أخرى بعضها تؤثر في التخلية، وبعضها في التحلية، وبعضها جامع لكلا الأمرين. والحج من القسم الأخير؛ لأنه معجون إلهي مركب من أجزاء نافعة جداً لجميع أمراض القلوب، العائقة لها من عالم النور وقد أشير في الرواية السالفة إلى أنواعها، ومثل ما فيه من علاج البخل مثلا ببذل المال، وعلاج الاستكبار بالخضوع والذلّ في أفعال الحج والطواف والصلاة، لا سيما بما لا يعلم سره من أفعالها مثل الهرولة في موضع خاص، وعلاج الكسل بتحمل مشاق أعماله إلى غير ذلك.

فإذن يلزم على المكلف العاقل أن يكون همّته في حجه، وكذا سائر عباداته على تأديته، بحيث يحصل منه مقصود شارعه وجاعله اللطيف وهذا لا يتيسر بالضرورة إلاّ بمعرفة المقصود من حقائق ما أمر به، ليوقعه على وجهه ولا يفوته النتيجة.

أقول: كفى في ذلك ما في رواية الشبلي من حكم تفاصيل جزئيات الأعمال، ثم العمل بما عرفه، والمراقبة في أن لا تفوته هذه الفوائد وليعلم أن المراد من قوله عليه السلام في تضاعيف هذه الكلمات: فنويت من العمل الفلاني المعنى الفلاني: أن يتحقق بحقيقة ما ذكر، مثلاً قوله عليه السلام: «هل نويت بالتجرد عن الثياب أنك خلعت ثوب المعصية» أن ينخلع واقعاً عن المعاصي الحاضرة بالفعل، وعن الآتية بالعزم الصحيح، وهكذا لأنّ النية لا تصح من المرتكب بالخلاف، بل يكون الإخطار بالضمير مع الارتكاب الفعلي استهزاءً وغفلة لا نية.

المراد من النيات التفصيلية لمناسك الحج:

وبالجملة المراد من النية التحقق بحقيقة المنوي لا إخطاره بالبال ولو مع الاتصاف بضده. مثلاً قال عليه السلام: «فنويت بالسعي بين الصفا والمروة أنك بين الخوف والرجاء؟» مقصوده عليه السلام أن يكون مردداً بين الصفا والمروة بالرجاء والخوف حقيقة، كالمتردد في فناء دار السلطان المشرف إلى لقائه، كيف يرجو منه فضله وقبوله، ويخاف من رده وأخذه وعقابه، ويتردد مشغول الهم بين هذين الأمرين، بل يكون الرغبة والرهبة هما المحرك له في نفسه هذه الحركة.

وإذ قد تبين ذلك، فاعلم أنّ أول ما يجب على كل مكلف في كل

عبادة تصحيح النية وإخلاصها صادقاً، وإجماله في المقام أن يكون باعثه لإتيان الحج المعرفة السابقة المذكورة، من كون الحج معداً لرفع الحجب بينه وبين الربّ وموصلاً لزيارة الله، ولا يدخل في قصده لحاظ غيره، ويعرف ذلك ببعض الكواشف.

كواشف الإخلاص:

ومن جملتها أن يكون حاله بحيث لو علم بعد تجهيز السفر وشيوع خبره بين الناس أن مقصوده يحصل بصرف مؤنته إلى غيره؛ بحيث لا يعلم أحد، وأن ذلك آثر عند الله من حجه، ترك الحج ولا يكون ترك الحج عنده ثقيلاً، ولا يستحيي عن الناس، بل يكون وجود الناس وعلمهم واعتقادهم في حقه بالطاعة والمعصية سواء؛ وأن لا يثقل في قلبه تسوية الناس له في المعاملات مع غير الحاج، وبهذا المقدار يعرف أنه قصد بحجه القربة وأنه أخلص في كونه لله.

وأما أنه قصد به خصوص مقام القرب والزيارة، فيعرف ذلك أيضاً بسمة طالبي القرب واللقاء من الجدّ في السعي والاهتمام والشوق وخفة المشاق، بل ارتفاع المشقة من البين، والاستظهار بكل القدرة في رفع الموانع. روي في تفسير قوله تعالى حكاية عن الكليم: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ

رَب لتَرْضَى﴾[١] أنه ما أكل ولا شرب ولا نام أربعين يوماً شوقاً إلى لقاء الله[٢].

العمل بلوازم الإخلاص:

وثانياً: أن يعمل بلوازم هذا القصد، ولعمري إنّ هذا القصد إذا تحقق أنما يكفي في البعث على لوازمه، ولا يحتاج زيادة تنبيه وتعليم، لأنّ تعليم طرق النياحة على الثكلى غلط، ومن البديهيات أنّ كل ما يشغله عن الله من المحرمات والمكروهات والمباحات أنما هي مانعة عن الوصول إلى المأمول، فلا بدّ له من قطع علاقة الشهوات والمرادات لها إلاّ إرادة الوصول إلى الله.

أثره الشوق الحقيقي:

وبالجملة لا بدّ لمن دخل هذا الميدان أن يتهيأ بكمال جده ومبلغ استطاعته مستمداً من النفحات الإلهية الرحيمية، والجذبات الربانية اللطيفة، لتحصيل عدة حضور رب العالمين جلّ شأنه، والعمدة في ذلك تحصيل الشوق، والأولى في ذلك أن نذكر ما في مصباح الشريعة عن

١ـ طه: ٨٤

٢ـ مصباح الشريعة ١٩٦.

الصادق عليه السلام في وصف المشتاق وهو قوله عليه السلام: «المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يلتذ شراباً، ولا يستطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوى داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس ثياباً، ولا يقرّ قراراً، يعبد الله ليلاً ونهاراً، راجياً أن يصل إلى ما يشتاق إليه، ويناجيه بلسان الشوق، معبراً عما في سريرته، كما أخبر الله تعالى عن موسى في ميقات ربه ﴿وعَجِلْتُ إلَيْكَ رَبِ لِتَرْضَى﴾ وفسّر النبي صلى الله عليه وآله عن حاله أنه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربه، فإذا دخلت ميدان الشوق فكبّر على نفسك ومرادك من الدنيا، ودع جميع المألوفات، واصرفه عن سوى مشوقك ولبّ بين حياتك وموتك بقولك: لبيك اللهم لبيك»[1].

توبة العوام:

هذا، وببالي أنّ أغلب الناس مثلي ليس لهم هذه الهمة، فالأولى أن نعرض عن تفصيل هذا النمط فنقول: إن لم تكن من أهل المحبة والشوق، فلا محالة من أن تكون من المتوسطين من أهل اليمين الخائفين من افتضاح حضور مجلس الروحانيين، فبادر إلى توبة صادقة واجبة على كل واحد من المكلفين لا أقول توبة الأولياء والأصفياء

١ـ مصباح الشريعة ١٩٦.

والخواص، بل توبة العوام التي تجب على كل عامي أن يتوب من الذنوب والكبائر الفقهية فيما يأتي ويستعلج بما يقدر عليه ما مضى من تدارك ما فات من الواجبات والكفارات ورد الحقوق والمظالم على ما قرر في محله.

والأولى أن يأتي بالعمل الوارد في شهر ذي القعدة من الغسل والصلاة والدعاء لمريد التوبة، ويدبر بقدر تكليفه أموره في وطنه وأهله وأمانات ربّه، بحيث يفرغ قلبه عن الشغل بفكرها، ويوصي وصيه ويفرض أنه لا يرجع عن سفره هذا.

ولكن يكون تدبيره في ذلك لمحض أمر الله، وبقدر أمر الله، وأما في قلبه وسرّه فيوكل أمر كل ما يتعلق به في وطنه وأهله وجميع علائقه إلى ربه، ويفوّض أمرهم وأمر نفسه وما معه في سفره إلى ربّ البيت ويحسن رجاءه بحسن خلافته تعالى فيما خلفه، وحسن صحابته وجواره ـ في طريق زيارته ودار وفادته ـ في نفسه وما معه، فإنه نعم الخليفة، ونعم الصاحب ونعم المزور.

من آداب سفر الحج:

وأيضاً ينبغي أن لا يحمل في سفره ما يشتت فكره، ويفرّق خياله وهمه من العلائق، من النسوان والأولاد والرفيق غير الموافق، والأسباب

غير اللازمة أو ترك الأسباب اللازمة ولا يكون رفيقه إلاّ مثله في الحسب والمقدرة، لئلا يذل المؤمن، ولا يذلّ نفسه، ولا يكون كَلاً على غيره وينبغي أن يكون رفيقه أعلم وأتقى منه ليستفيد من صحبته، ويستكمل نفسه بتقليده، ويتذكر بذكره.

وبالجملة يودّع بقلبه جميع ما خلفه كلاً، حتى لا يشغل همه عن التوجه التام إلى ما قصده، ولا يستصحب معه شيئاً شاغلاً عن ذكر ربه وهمّ زيارته، والتقرب إليه بتحصيل رضاه، ليكون همّه همّاً واحداً، وحاله في خدمته سرمداً، حتى يكون زائراً مقصور الهمّ في زيارة حبيبه، وعبداً شاخصاً في خدمة مولاه، وإذا كان كذلك فلا بدّ أن يحسن خلقه مع رفقائه، ويعذب معاملته معهم، ويحب صلتهم وخدمتهم، والتحمل عنهم ويلتذ منهم، ويستأنس بهم، حتى الجمالين والأكرة، بل المراكب والمنازل كما قيل:

أمرّ على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
فما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

وكما قال الشاعر:

جمال كعبه چنان ميدواندم بنشاط كه خارهاى مغيلان حرير ميآيد

ولعل من هذا الباب ما روي عن السيد السجاد وإمام الزهاد أنه كان

يستصحب في زاد سفر الحج لوزاً وسكراً وغير ذلك من الحلويات، فلا بدّ أن يكون ذلك منه عليه السلام ليصرفها في الحجاج، وينفق في سبيل الله لزوّار الله أحسن النفقات، ولأنّ ما يصرفه في هذا الطريق مصروف في الحبيب، وهو بعين الحبيب.

وحينئذ لا يتصوّر أن يثقل عليه ما يتلف منه، أو يصرفه باختياره من ماله، ويبذله من جاهه وقوته، ولا يثقل عليه جفاء الخادم والرفيق، بل يحلو عنده مرّ أذاهم، ويقابلهم من سوء المعاملة بالرفق والإحسان، ومن الأذية بالشكر والامتنان؛ لأنّ رضا الخالق في جفاء المخلوق كما أشير إليه في الحديث القدسي[1].

ثم إنه ينبغي أن يقدّر سيره في الطريق سيراً إلى الله وتقرباً إليه، وبالجملة كلما سار بدنه إلى البيت يسير قلبه إلى ربّ البيت، ويراعي في هذا السير الروحاني أيضاً زاده الذي هو التقوى، وراحلته التي هي بدنه ورفيقه الذي هو أهل التقوى من المؤمنين، ودليله الذي هو من يهديه

١ـ روي في مصباح الشريعة: ٣٧ عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل المؤمن مثل الأرض، منافعهم منها، وأذاهم عليها، ومن لا يصبر على جفاء الخلق لا يصل إلى رضا الله تعالى، لأنّ رضا الله مشوب بجفاء الخلق» عنه البحار: ٧١ـ ٤٢٢ ضمن ح ٦١.

إلى ربّه من أهل العلم واليقين، وأمير الحاج الذي هو إمامه عليه السلام.

ومراعاة التقوى أن يجاهد نفسه في تحصيلها بمراتبها، وأول مراتبها التقوى من المحرمات، ووسطها التقوى من الشبهات، وآخرها التقوى من كل ما يشغله عن الله حتى المباحات.

ومراعاة بدنه بتدبير أمره بحيث يحمله في سفره إلى الله، ويحمل زاده، ويطيعه في الحمل وقطع الطريق، ولا يعصيه في ذلك إلاّ عن الضعف ولا عن الجموح.

وأما مراعاة الرفيق وهو أن يتخذ لنفسه إخوان الصفا، ويحذر عن مصاحبة إخوان المكاشرة، ويجتهد في اتحاد قلبه وعمله مع إخوانه، في تحصيل معرفة الله ومحبته، وفي التعاون على ذلك كله، فإنّ للاجتماع واتحاد القلوب والهمم تأثيراً خاصاً في نيل المقصود.

وأمّا مراعاة الدليل وهو المقلد في المسائل الفقهية، ومعلم الخير في تهذيب الأخلاق، والعارف الكامل في المراتب العرفانية، فمراعاته الاقتداء به، والاستضاءة بنوره، والاستهداء بهداه.

مراعاة إمام الزمان عجل الله فرجه :

وأما مراعاة أمير الحاج وهو خليفة نبيه صلى الله عليه وآله وإمام زمانه عليه السلام ومراعاته معرفته وولايته وطاعته، وهذا أهم الأمور وأوجبها، ولا يتيسر

السير إلى الله بغير ذلك، وهو من الضروريات، ولم يدع إلى شيء مثله في هذا الطريق، ومن تخلف عن أمير الحاج انقطع عن الطريق، ويهلك مع الهالكين، ويلحق بحزب الشياطين.

وبالجملة معرفة الإمام وولايته شرط في صحة العمل وقبوله، فلو أنّ عبداً صام دهره وقام تمام عمره بصلاة وعبادة وحج، وتصدق بجميع ماله، لم يتقبل منه إذا لم يعرف إمام زمانه، أو لم يواله، ولم يكن ذلك بدلالته.

وكيف كان يكون جدّه وهمته في إصلاح نفسه، والاستخلاص من عوالم الطبيعة، إلى عوالم النور، بحيث يستعد قلبه وروحه لمشاهدة أنوار الجمال، وكشف سبحات الجلال عند زيارة البيت، رزقنا الله وجميع أوليائه مثل هذا الحج.

إشكال وجواب:

لا يقال: إنّ ما ذكر لا يتيسر إلاّ للأنبياء وخواص الأولياء بمجاهدات صعبة، وتحمل مشاق كثيرة، في مدة سنين، وأمّا أمثالنا فلا يمكن نيلنا بذلك، وإن فرضنا الإمكان أيضاً لا ينال إلاّ بمجاهدات أعمار طويلة، وأما في مدة سفر الحج التي لا تزيد على شهرين أو ثلاثة أشهر فلا مطمع لأحد في الوصول إلى مثل هذا الأمر الجليل العزيز الوقوع.

لأنا نقول: إنّ هذه الخطرة أنما هو من الخبيث لسد عليه الباب، فإن تبعها فقد سدّ الباب وأضله عن الطريق، وإن ردّها بأنّ الله تعالى أنما دعا عباده المؤمنين لنيل هذا المراد، فلو كان محالاً لما دعاهم إلى ذلك، وأنه إن كان ذلك بحولنا وقوتنا فما قلته حق لا ريب فيه، إلاّ أنه لا يختص في الطمع لذلك المرام، بل هو مشترك بالنسبة إلى جميع الخيرات، بل جميع الأمور؛ لأنه لا يوجد الخير إلاّ من عنده ولا حول ولا قوة بل ولا إرادة ولا وجود لأحد إلاّ بالله ومن الله.

وإن كان بحوله وقوته، ونفحات فضله وكرمه، فهو أقدر الأقدرين وأكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وقد أخبر عنه وسائط فضله ووسائل عباده إليه أئمتنا عليهم السلام بأنّ الراحل إليه قريب المسافة، وأنه لا يحتجب عن خلقه، إلاّ أن تحجبهم الأعمال السيئة دونه، هذا.

قصد ما يناسب مناسك الحج:

وإذا فقه الحاج معنى الحج واشتاق إليه، وعرف عدته الظاهرة والباطنة فليقصد عند إتيان كل ما يفعله في حجه من اللوازم العادية والعبادية ما يناسبه من أحوال حجه الحقيقي الواقعي وليراقب في صحة أفعال حجه الظاهري.

مثلاً إذا قصد إلى مهاجرة الأهل والأولاد والأوطان قصد بذلك

مهاجرة الشهوات والمعاصي، وكل ما كره الله، بل كل ما يشغله عن الله ويعامل فيما خلفه برضا الله، ويقدّر في نفسه أن الله تعالى سيسأله عما خلف، كيف خلف؟ وأنه لا يعود إليهم ولا يلاقيهم إلاّ يوم القيامة، وأن يسترضي ويستحل عن كل من يعرفه.

وليتذكر بسفره هذا سفر آخرته، وإذا قصد حمل الزاد أوجب على نفسه حمل زاد سفر الآخرة وهو التقوى، ويداق في حلّ زاده، ويستكثر من الزادين للسفرين، قصد باتخاذ الراحلة أنه يحتاج في سفر الآخرة أيضاً إلى الراحلة، وأنّ مطية سفر الآخرة بدنه، ويجب مراعاته وتعاهده كما يتعاهد المطايا في السفر، ويعلفه بما يلزمه من التقوية، ويمنعه عما يزيد على ذلك، ولا يبعثه على الجموح ويسوقه بما يتقوى عليه، ويحمل عليه ما يحتمله، ويراعي حقوق كلتا المطيتين ما استرعاه الله.

وأما قطع البوادي، والسير في الفيافي، ونزول العقبات، فيتذكر بذلك عقبات سفر الآخرة من حين الموت إلى حين نزول دار الثواب، فإنّ فيها عقبات كؤودة لا يجوزها إلاّ البكاءون في الدنيا من مخافة الله، وأيسرها الموت، وما بعد الموت أعظم وأدهى.

وأما لبس ثوبي الإحرام فليقصد بخروجه عن أثوابه خروجه عما يخالف إرادة الله، بلبس ثوبي الإحرام لبس لباس التقوى، ولباس التقوى هو خير، ويتذكر به كفنه الذي يشبهه وأنه سيلف به.

وأما نفس الإحرام والتلبية فهو بمنزلة إجابة الله حيث دعاه بلسان خليله على نبينا وآله وعليه السلام، فليكن على خشية ورجاء من الرد والقبول.

وليتذكر ما روي عن سيد الساجدين عليه السلام أنه غشي عليه حين أحرم ولبى ولم يفق حتى قضى حجه وسئل عن ذلك قال: خشيت أن يقال: لا لبيك ولا سعديك.

وروي أنّ من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل: لا لبيك ولا سعديك، حتى ترد ما في يديك[1].

وليكن على ذكر من نداء الله الخلائق للحشر بنفخ الصور وازدحامهم على العرصات.

وأما دخول الحرم، فليقوَ رجاءه على كرم الله وفضله عنده، ليأمن من سخط الله وغضبه مع خوف ما عن الردّ والاستدراج، فلا يأمن مكر الله ولكن يكون رجاؤه أغلب؛ لأنّ شرف البيت عظيم، ورب البيت أكرم وأرحم، وحق الزائر مرعي وذمام المستجير عليه غير مضيع، والكريم

١ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا اكتسب الرجل مالاً من غير حله، ثم حج فلبى نودي: لا لبيك ولا سعديك، وإن كان من حله فلبى نودي: لبيك وسعديك. الكافي ٥: ١٢٤.

يسامح مع الوافدين ما لا يتسامح مع غيرهم، ليكن عليه سمة العبودية والخشوع والذلّ كما ورد في الأخبار من أخذ إحدى نعليه بيده[١].

وبالجملة كل ما قدر عليه من الجدّ في إظهار الخشوع والتذلل فليأت به، ويكون مثل حاله مثل ما يروى من أحوال العصاة يوم القيامة إذا ظهر سلطان الله، وأشير إليه في القرآن الكريم، بقوله: (يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ)[٢] ولكن مختلطاً بسكر الحب، وهيجان الشوق، وليكن نظره إلى أرض الحرم وسكك مكة، ودورها لا سيما إلى البيت نظر هيبة ومحبة وليكن يقوي جهة المحبة.

ويكثر من قول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر» وإن ساعده التوفيق أن يتجلّى له عند التسبيح سبحات الجلال، وعند الحمد أنوار الجمال، وعند التهليل صفة التوحيد، ويلقي عند التكبير جبل الأنانية، ويكبر على ما سوى الله فقد فاز ونال.

وأما الطواف فهو من وظائف عين الزيارة بعد الوصول، كما شبهه

١ـ عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إذا دخلت المسجد الحرام فادخله حافياً على السكينة والوقار والخشوع...».

الوسائل: ٥: ٣٢١، ح ١، الباب ٨ من أبواب مقدمات الطواف.

٢ـ الشورى: ٤٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة، والصلاة الزيارة كما فسر خليفته ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام «قد قامت الصلاة» بقوله: أي حان وقت الزيارة[١].

وأما الاستلام فيقصد به البيعة لله بالطاعة ونفي الاختيار، ويقصد بالتعلق بالأستار والالتزام، الالتجاء للقبول والعصمة والتبرك بالمماسة.

وأما السعي فمثله كمثل من يتردد بين الخوف والرجاء بعد الوفود على السلطان، المنتظر لاستعلام آثار القبول المتردد في فناء بابه.

وأما الوقوف بعرفة فتشمر بجدّك أن تنال فيه بكمال المعرفة.

واعلم أن اجتماع الحجاج في الدعاء في صعيد واحد، لا سيما بلحاظ حضور الصلحاء وأهل الباطن من الأبدال والأوتاد، أو غيرهم من الكاملين الذين لا يخلو الحجاج من بعضهم لا محالة، مع اجتماع القلوب والهمم، لاستنزال الرحمة، استمطار سحائب الجود والكرم، بمد الأعناق وشخوص الأبصار، والتضرع والبكاء، والابتهال، كاد أن يكون علة تامة للإجابة، فإنّ لاجتماع القلوب والهمم تأثيراً خاصاً في نجح المقاصد والوصول إلى المطالب، ولذا قيل: إنّ من أعظم الذنوب أن يحضر أحد عرفات، ويظن أنّ الله تعالى لم يغفر له.

وأما الوقوف بمنى فيقصد به المصافاة والتأمين بعباد الله من المضادة

١ـ توحيد الصدوق: ٢٤١.

والخلاف في طريق الوداد، وبالتقاط الحصى رفع كل خلاف ومعصية لله عزّ وجلّ، وإثبات كل علم وعمل، وبرمي الجمار البلوغ للمقصود وقضاء الحوائج، وبالذبح [قطع] الطمع عن غير الله، والاقتداء بخليل الله وبالرجوع إلى مكة، وطواف الإفاضة، الإفاضة برحمة الله والرجوع إلى قرب الله.





الفصل الخامس

المحجة البيضاء

"الفيض الكاشاني"



أول الحج الفهم:

اعلم أن أول الحج الفهم، أعني تفهم موقع الحج من الدين، ثم الشوق إليه، ثم العزم عليه، ثم قطع العلائق المانعة منه، ثم شراء ثوب الإحرام، ثم شراء الزاد، ثم اكتراء الراحلة، ثم الخروج، ثم السير في البادية، ثم الإحرام من الميقات بالتلبية، ثم دخول مكة، ثم استتمام الأفعال كما سبق، وفي كل واحدة من هذه الأمور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر، ونية للمريد الصادق، وتعريف وإشارة للفطن، فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرف أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه، وطهارة باطنه، وغزارة علمه.

أما الفهم فاعلم أنه لا وصول إلى الله تعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات، والاقتصار على الضرورات فيها، والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولأجل هذا انفرد الرهبانيين في الملل السالفة عن الخلق، وانحازوا إلى قلل الجبال، وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله، فتركوا اللذات الحاضرة، وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعاً في الآخرة، وأثنى الله تعالى عليهم في كتابه، فقال: ﴿ذَٰلِكَ

بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1] فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله تعالى وفتروا عنها بعث الله تعالى محمداً ﷺ لإحياء طريق الآخرة، وتجديد سنة المرسلين في سلوكها، فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ﷺ: «أبدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف»[2] يعني الحج.

وسئل ﷺ عن السائحين فقال: هم الصائمون[3]. فأنعم الله سبحانه على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم، فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه، ونصبه مقصداً لعباده، وجعل ما حواليه حرماً لبيته وتفخيماً لأمره، وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه، وأكدّ حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوّار من كل فجّ عميق ومن كل أوب سحيق، شعثاً غبراً، متواضعين لربّ البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته، مع الاعتراف بتنزهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتمّ في إذعانهم وانقيادهم، ولذلك وظّف عليهم فيها أعمالاً لا يأنس

١ـ المائدة: ٨٢

٢ـ لم أجد الحديث بهذا اللفظ، وإن كانت بعض الأحاديث قريبة من هذا المعنى.

٣ـ المستدرك على الصحيحين ٤: ٣٣٥.

بها النفوس، ولا يهتدي إلى معانيها العقول، كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية، فإنّ الزكاة إرفاق، ووجهها معلوم مفهوم وللعقل إليه ميل، والصوم كسر للشهوة التي هي عدو لله، وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل، والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله تعالى بأفعال هي هيئة التواضع، وللنفوس أنس بتعظيم الله تعالى.

فأما ترددات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال، فلا حظ للنفس ولا أُنس للطبع فيها، ولا اهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلاّ الأمر المجرد، وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط، وفيه عزل العقل عن تصرفه، وصرف النفس والطبع عن محل أُنسه، فإنّ كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ما، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثاً معه على الفعل، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد، ولذلك قال ﷺ في الحج على الخصوص: «لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً»[١] ولم يقل ذلك في صلاة وغيرها، وإذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بأن يكون أعمالهم على خلاف هوى

١ـ لم أجد ذلك في أحاديث الشيعة، وورد شبيه ذلك في السجود، نعم وردت هذه التلبية عن الرسول في بعض مصادر أهل السنة كمجمع الزوائد ٣: ٢٢٣.

وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدي إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق، وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات، وهذا القدر كافٍ في تفهيم أصل الحج.

الشوق:

وأما الشوق فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله، وأنه وضع على مثال حضرة الملوك، فقاصده قاصد إلى الله تعالى وزائر له وأن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له، وهو النظر إلى وجه الله الكريم، والفوز بلقائه سبحانه، فالشوق إلى لقاء الله مشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أنّ المحب يشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله فبالحري أن يشتاق إليه بمجرد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل».

أقول: لا تفهمن من لفظة النظر إلى وجه الله سبحانه حيث ما قيل في الكتاب والسنة وغيرهما النظر بعين الرأس وإلى الوجه كالوجوه ـ تعالى الله عن ذلك ـ بل له معنى آخر يعرفه الراسخون في العلم.

العزم:

قال: وأما العزم فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات، متوجهاً إلى زيارة بيت الله تعالى، فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت، وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره، وأن من طلب عظيماً خاطر العظيم، وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة، وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص، وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره. فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه. وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة، وليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

قطع العلائق:

وأما قطع العلائق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جميع المعاصي، وكل مظلمة علاقة، وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلبيبه ينادي عليه ويقول: إلى أين تتوجه؟ أ تقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا، ومستهين به ومهمل له ؟!! أوَ لا تستحيي من أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي، فيردك ولا يقبلك ؟!، فإن كنت راغباً في قبول زيارتك فنفّذ أوامره وردّ المظالم، وتُب إليه أولاً من

جميع المعاصي، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك؛ لتكون متوجهاً إليه بوجه قلبك كما أنت متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك، فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولاً إلاّ النصب[1] والشقاء، وآخراً إلاّ الطرد والردّ، وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه، وقدّر أن لا يعود إليه، وليكتب وصيته لأهله ولأولاده، فإنّ المسافر ومتاعه لعلى قَلَتٍ[2] إلاّ ما وقى الله. وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة، فإنّ ذلك بين يديه على القرب، وما تقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر. فهو المستقر وإليه المصير، فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر.

الزاد:

وأما الزاد فليطلبه من موضع حلال. وإذا أحس من نفسه بالحرص على استكثاره،وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد، فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر، وأن زاده التقوى، وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه، فلا يبقى معه كالطعام والرطب الذي يفسد من أول منازل

١ـ أي التعب.

٢ـ القلت ـ بالتحريك ـ الهلاك والفساد.

السفر، فيبقى وقت الحاجة متحيراً محتاجاً لا حيلة له، فليحذر أن يكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل تفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير.

الراحلة:

وأما الراحلة إذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله له الدواب، ليتحمل عنه الأذى ويخفف عنه المشقة. وليتذكر عنده المركب الذي يركبه إلى الدار الآخرة، وهي الجنازة التي يحمل عليها، فإن أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاداً لذلك السفر على ذلك المركب، فما أقرب ذلك منه! وما يدريه لعل الموت قريب، ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمازة، فركوب الجنازة مقطوع به، وتيسير أسباب السفر مشكوك فيه، فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه، ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن.

شراء ثوب الإحرام:

وأما شراء ثوب الإحرام فليتذكر عنده الكفن، ولفه فيه، فإنه سيرتدي ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله، وربما لا يتم سفره إليه، وأنه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة، فكما لا يلقى بيت

الله إلاّ مخالفا عادته في الزي والهيئة، فلا يلقى الله بعد الموت إلاّ في زي مخالف لزي الدنيا، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب، إذ ليس فيها مخيط كما لا مخيط في الكفن.

الخروج من البلد:

وأما الخروج من البلد فليعلم أنه فارق الأهل والوطن متوجهاً إلى الله في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا، فليحضر في قلبه ما ذا يريد، وأين يتوجه، وزيارة من يقصد، وأنه متوجه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين إليه الذين نودوا فأجابوا، وشوقوا فاشتاقوا، واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسلياً بلقاء البيت عن لقاء ربّ البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم، وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالاً بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال، ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته، وليرج أنه إن لم يصل وأدركته المنية في الطريق لقي الله وافداً إليه، إذ قال: ﴿وَمَن يَخْرُجْ من بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ﴾[1].

١ـ النساء: ١٠٠.

دخول البادية إلى الميقات:

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات، فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات، وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير، ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته، وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر.

الإحرام والتلبية:

وأما الإحرام والتلبية بالميقات فليعلم أنّ معناه إجابة نداء الله، فارجُ أن تكون مقبولاً، واخش أن يقال لك: لا لبيك ولا سعديك، فكن بين الرجاء والخوف متردداً، وعن حولك وقوتك متبرئاً، وعلى فضل الله وكرمه متكلاً. فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محل الخطر، قال سفيان بن عيينة: «حج علي بن الحسين عليهما السلام، فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: لم لا تلبي؟ فقال: أخشى أن يقول لي ربي: لا لبيك، ولا سعديك، فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه»[1].

١ـ تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٩.

وقال أحمد بن أبي الحواري: كنت مع أبي سليمان الداراني حين أراد الإحرام، فلم يلبّ حتى سرنا ميلاً وأخذته الغشية ثم أفاق، وقال: يا أحمد إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى: «مر ظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكري، فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة [حتى يسكت]» ويحك يا أحمد بلغني أنّ من حجّ من غير حلّه ثم لبّى قال الله عزّ وجلّ له: لا لبيك ولا سعديك، حتى ترد ما في يديك، فما نأمن[١] أن يقال لنا ذلك[٢].

وليتذكر الملبي عند رفع الأصوات بالتلبية في الميقات إجابة لنداء الله تعالى، إذ قال: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾[٣] نداء الخلق بنفخ الصور، وحشرهم من القبور، وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله، ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين، ومقبولين ومردودين ومرددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أ يتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا.

دخول مكة:

وأما دخول مكة فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم آمن، وليرجُ

١ـ في نسخة "فما يؤمنا".

٢ـ تاريخ مدينة دمشق ٣٤: ١٣٥.

٣ـ الحج: ٢٧.

عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله، وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخول الحرم خائباً مستحقاً للمقت، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً، فالكرم عميم، وشرف البيت عظيم، وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع.

وقوع البصر على البيت:

وأما وقوع البصر على البيت فينبغي أن تحضر عنده عظمة البيت في القلب، وتقدر كأنك مشاهد لربّ البيت لشدة تعظيمك،وارجُ أن يرزقك لقاءه كما رزقك لقاء البيت، واشكر الله على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين إليه،واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة، ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أُمور الآخرة في شيء مما تراه، فإنّ كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة.

الطواف بالبيت:

وأما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاة، وأحضر قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة، واعلم أنك في الطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله.

ولا تظنن أنّ المقصود طواف جسمك بالبيت، بل المقصود طواف قلبك بذكر ربّ البيت حتى لا يبتدئ الذكر إلاّ به، ولا يختم إلاّ به كما يبتدئ الطائف الطواف من البيت ويختم بالبيت.

واعلم أنّ الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية،وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهو في عالم الملكوت كما أنّ البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر،وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب، وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السماوات بإزاء الكعبة وأن طواف الملائكة بها كطواف الإنس بهذا البيت، ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم، والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال: إنّ الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله.

استلام الحجر الأسود:

وأما الاستلام فاعتقد عنده أنك مبايع لله على طاعته، فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك، فمن غدر في المبايعة استحق المقت، وقد روى ابن

عباس عنه ﷺ أنه قال: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه»[1].

التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم:

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم، فليكن نيتك في الالتزام طلب القرب حباً وشوقاً للبيت ولربّ البيت، وتبركاً بالمماسة ورجاءً للتحصن عن النار في كلّ جزء لاقى البيت. وليكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه، المتضرع إليه في عفوه عنه، المظهر له أنه لا ملجأ له منه إلاّ إليه، ولا مفزع له إلاّ عفوه وكرمه، وأنه لا يفارق ذيله إلاّ بالعفو وبذل الأمن في المستقبل.

السعي بين الصفا والمروة:

وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فيضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرة بعد أخرى، إظهاراً للخلوص في الخدمة، ورجاءً للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج

١ـ هناك عدة أحاديث تدل على أنّ الحجر يمين الله تعالى، ولم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ، نعم قريب منه في كشف الخفاء ١: ٣٤٩.

وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد. فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى، يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى، وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات، والمروة بكفة السيئات، وليتذكر تردده بين الكفتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان مرددا بين العذاب والغفران.

الوقوف بعرفة:

وأما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق، وارتفاع الأصوات، واختلاف اللغات، واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيراً بسيرتهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة، واقتفاء كل أمة نبيها، وطمعهم في شفاعتهم، وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول، وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله، فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين، وحقق رجاءك بالإجابة، فالموقف شريف والرحمة أنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض، ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقات من الصالحين وأرباب القلوب، فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم

وارتفعت إلى الله أيديهم، وامتدت إليه أعناقهم، وشخصت نحو السماء أبصارهم، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة، فلا تظنن أنه يخيب أملهم، ويضيع سعيهم، ويدخر عنهم رحمه تعمرهم، ولذلك قيل: إنّ من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أنّ الله لم يغفر له، وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده، ولذا قال ﷺ: «الحج عرفة»[1] فلا طريق إلى استدرار رحمة الله مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد».

الوقوف بالمشعر:

أقول: وأما الوقوف بالمشعر فاستحضر أنه قد أقبل عليك مولاك بعد أن كان مدبراً عنك طارداً لك عن بابه، فأذن لك في دخول حرمه. فإنّ المشعر من جملة الحرم، وعرفة خارجة عنه، فقد أشرفت على أبواب الرحمة، وهبت عليك نسمات الرأفة وكسيت خلع القبول بالإذن في دخول حرم الملك، وإنما لم يذكره أبو حامد؛ لأنه ليس بفريضة عند العامة حرمهم الله من هذا الركن العظيم.

١ـ مستدرك وسائل الشيعة ١٠: ٣٤، أبواب إحرام الحج، ب ١٨، ح ٣.

رمي الجمار:

قال: وأما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للأمر إظهارا للرق والعبودية، وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس، ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام، حيث عرض له إبليس ـ عليه اللعنة ـ في هذا الموضع ليدخل على حجه شبهة أو فتنة بمعصية. فأمره الله أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأصله، فإن خطر لك أنّ الشيطان عرض له وشاهده، فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان، فاعلم أنّ هذا الخاطر من الشيطان فإنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيّل إليك أنه فعل لا فائدة فيه، وأنه يضاهي اللعب، فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجدّ والتشمر في الرمي فيه ترغم أنف الشيطان واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة، وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره. إذ لا يحصل إرغام أنفه إلاّ بامتثالك أمر الله تعظيماً له بمجرد الأمر من غير حظ النفس والعقل فيه.

ذبح الهدي:

وأما ذبح الهدي، فاعلم أنه تقرب إلى الله بحكم الامتثال، وأكمل الهدي وأجزاءه وارجُ أن يعتق بكل جزء منها جزءا منك من النار، فهكذا ورد الوعد، فكلما كان الهدي أكثر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم.

المصادر:

القرآن الكريم.

المراقبات في أعمال السنة ـ الميرزا جواد آغا ملكي التبريزي ـ مطبعة نمونه ـ ١٣٦٣ هـ ش.

المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء ـ المولى محسن الكاشاني ـ منشورات الأعلمي للمطبوعات ـ لبنان ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

جامع السعادات ـ الشيخ محمد مهدي النراقي ـ مطبعة النجف ـ الطبعة الثالثة.

صحيفة الحج "مجموعة خطب وبيانات الإمام الخميني (قدس سره)" دار الحديث ـ ١٣٨٢.

صحيفة الحج "مجموعة خطب وبيانات السيد القائد ـ دار الحديث ـ ١٣٨٢.

وسائل الشيعة ـ الشيخ الحر العاملي ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام الطبعة الأولى ١٤٠٩.

مستدرك وسائل الشيعة ـ الميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسسة

آل البيت عليهم السلام الطبعة الأولى - ١٤٠٧.

مصباح الشريعة - منسوب إلى الإمام الصادق عليه السلام مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان - ١٤٠٠.

توحيد الصدوق - أبو جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي - منشورات جامعة المدرسين.

المستدرك على الصحيحين - الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ١٤١٥.

موقع الولاية للثقافة والإعلام على الإنترنت.

الفهرس

الفصل الاول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی